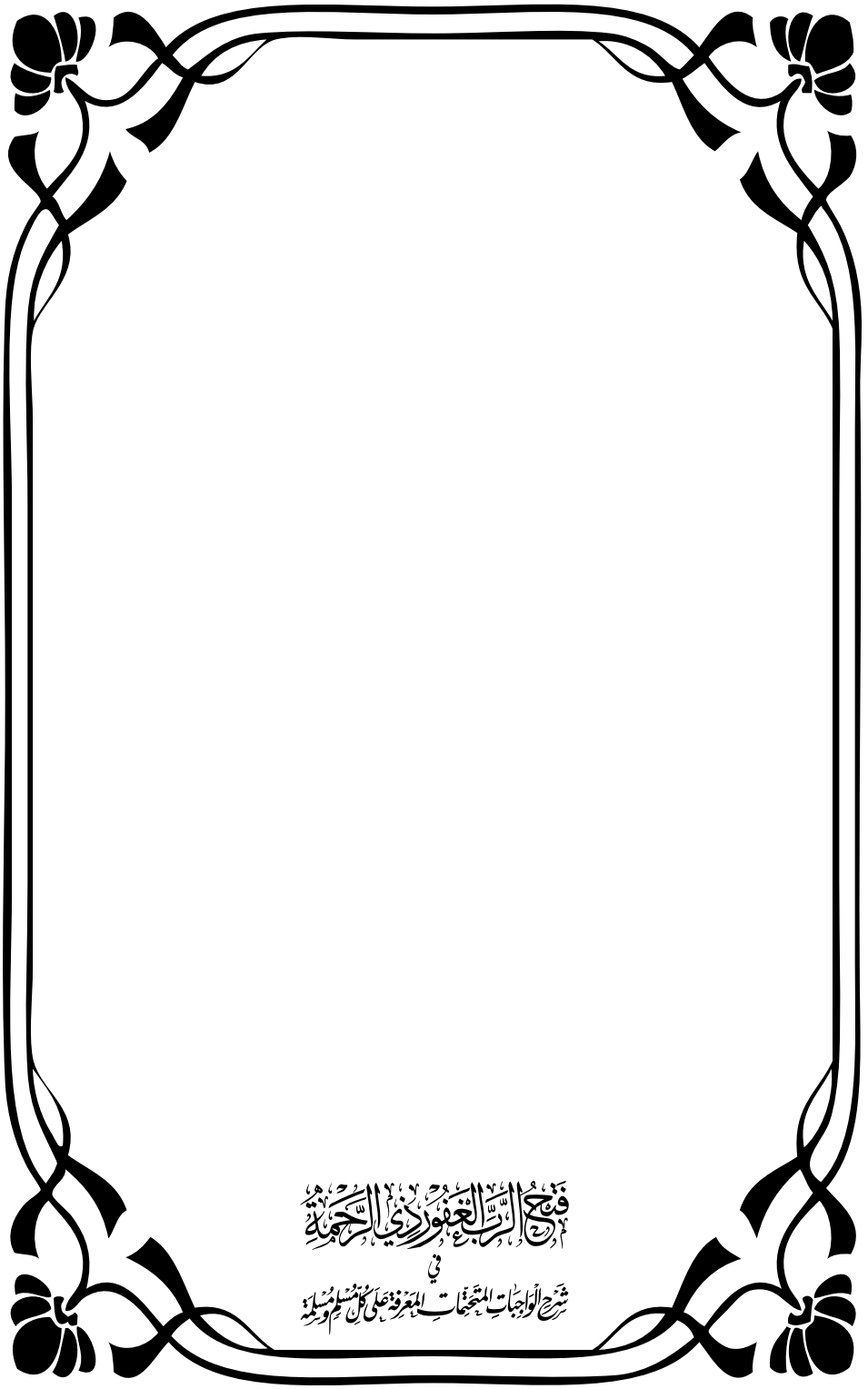
فتح الرب الغفور ذي الرحمة
في
شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة

حقوق الطبع محفوظة
لـ «دار المنهاج»
الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

رقم الإيداع: ٢٠١٣/٣٤٨٨م

٨١ شارع الهدي المحمدي –من أحمد عرابي – مساكن عين شمس-
القاهرة – جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤٠٨١ – ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤٠٧٨ – ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤١١٣
E-mail: daralmenhaj@hotmail.com
daralminhaj@yahoo.com

فتح الرب الغفور ذي الرحمة

في

شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

المنهاج

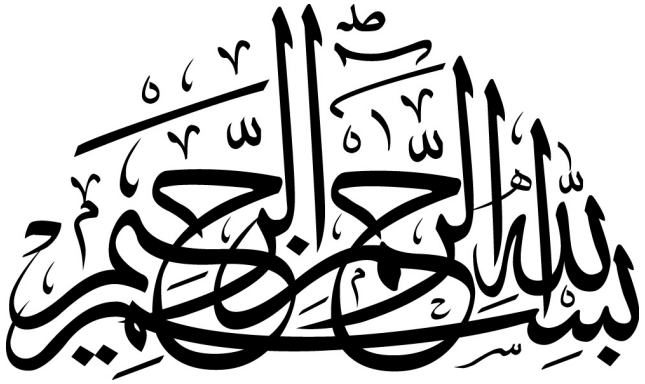
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمدُهُ، ونَسْتَعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونَعُوذ بالله من شُرُور أَنْفسنا، وَسَيِّئات أَعْمَالنا، مَنْ يهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَد أَنْ لا إله إلَّا الله وَحْدَه لا شَريكَ لَهُ، وأَشْهَد أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ﷺ.

أمَّا بعد:

فلَقَدْ أَرْسَل اللهُ تَعَالىٰ رُسُله ليُبيِّنوا للنَّاس أَصْلَ الدِّين، وهُوَ مَعْرفة الله تَعَالىٰ بأسمائِهِ، وصفاتِهِ، وأفعالِهِ، وإلهيَّتِهِ، وليُبيِّنوا الطَّريقَ المُوصلة إِلَيْه، وليُعلموا النَّاسَ أنَّهم سيَنْقَسمونَ إلىٰ فَريقَيْن لا ثَالثَ لَهُما ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورىٰ:٧] بحَسَب تَمسُّكهم بدينِ اللهِ، أو إِعْرَاضهم عَنْه.

وَالعَقيدةُ الصَّحيحةُ الَّتي جَاءَ بِهَا الأنبياءُ والمُرْسَلون وَآخرهُمْ مُحمَّدٌ ﷺ هِيَ طَريقُ النَّجَاة، وَطَريقُ السَّعَادة الأبديَّة.

وَهِيَ الصِّراطُ المستقيمُ الَّذي يجبُ عَلَىٰ كلِّ مسلمٍ سُلُوكه؛ لأنَّه سبيلُ

أَهْل السُّنَّة والجَمَاعة، الطَّائفة المَنْصورة، والفِرْقَة النَّاجية، الَّذين هُمْ أَهْلُ العقيدةِ الصَّافية، والمَنْهَج السَّليم، واتِّباع السُّنَّة والدَّليل، والتَّميُّز عَنْ أَعْدَاء الله، ومُفَاصلة أَهْل الباطل.

❐ **والعقيدةُ مأخوذةٌ من الاعتقاد الَّذي معناه: التَّصْديق المطلق.**

والمُعْتَقد معناه: التَّصْديقُ الجازم فِيمَا يجبُ لله من الوَحْدانيَّة، والرُّبُوبيَّة، والإِفْرَاد بالعبادة، والإيمان بأَسْمائِهِ الحُسْنىٰ، وصفاتِهِ العُلْيا، والإيمان بالرُّسُل عليهم السلام وتَصْديقهم، والإيمان باليوم الآخر، وَمَا يَكُون فيه.

وبهذَا الاعتقادِ الصَّحيحِ السَّليم تكون الأُمَّةُ -خير أُمَّةٍ أُخْرجَتْ للنَّاس- قويَّةً بدينِها، معتزَّةً بعَقيدتها، متآلفةً متعاضدةً متناصرةً، لا يَضرُّها مَنْ خَالَفها، ولا مَنْ خَذَلها، كما كَانَتْ أيَّام الرَّسُول الأكرم ﷺ، والخُلَفاء الرَّاشدين، ومَنْ بَعْدهم حتَّىٰ عَمِلَ الأعداءُ علىٰ إِفْسَادِ عقيدةِ المسلمين لإِضْعافِ شَوْكتهم، وكَسْر قُوَّتهم، وقَدَّموا لهم النَّعَرات العصبيَّة، والوطنيَّة، والقوميَّة، وغَيْرها كبديلٍ عن العقيدةِ الصَّحيحة.

لَذَلكَ، إِنْ أردنا السَّعَادة في الدُّنيا والآخرة، والنَّجاة من عذاب الله تَعَالىٰ، فعلينا تَعلُّم العقيدة، ومُدَارستها من مَنْبعها الصَّافي (الكتاب والسُّنَّة)، ومن كُتُبِ أَهْل العلم المُعتبرين والمَوْثوق بعلمهم، والمَشْهود لهم- من القُدَامىٰ والمُحْدَثين.

ومن هؤلاء: الإمام المُجَدِّد شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رحمه الله في كُتُبه الكثيرة والجليلة، ومِنْهَا: رسالة: «الواجبات المتحتمات المَعْرِفة علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ»، والَّتي قام بشرحها فضيلة شيخنا المبارك/ أحمد بن

يحيىٰ النَّجمي -رحمه الله تعالىٰ- في كتابه: «فتح الرَّبِّ الغفور ذي الرَّحمة في شرح رسالة الواجبات المتحتمات المَعْرِفة علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ».

أسأل الله أن يَجْزيه خيرَ الجزاء علىٰ ما قدَّم خدمةً لدين الله، ونَشْر العلمِ النَّافعِ بَيْن المسلمين، والعَمَل علىٰ قَمْع البدع، ونَشْر الاعتقاد الصَّحيح.

وَالجَامعُ لهذِهِ الرِّسالة هو الشَّيْخ عبد الله بن إبراهيم القرعاوي وَفَّقه الله، وهو -كما نحسبُهُ- طالبُ علمٍ ببريدة، وسائرٌ علىٰ طريقة السَّلَف الصَّالح -بإذن الله- نحسبُهُ كَذلكَ، واللهُ حَسِيبُهُ، ولا نُزكِّي علىٰ الله أحدًا.

وأحبُّ أن نُنبِّه طَلَبة العلم النَّاشئين -وَفَّقهم الله- أنَّه غيرُ فضيلة الشَّيخ الدَّاعية السَّلفي المصلح: عبد الله بن مُحمَّد بن حمد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ شَيْخ شيخنا الشَّيْخ أحمد النَّجْمي رَحِمَهُ اللَّهُ الشَّارح لهذِهِ الرِّسالة.

ولقَدْ قامَ المُصنِّف -وَفَّقه الله- بجَمْع مَتْن هذه الرِّسالة المفيدة من كَلَام شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، ومن كَلَام أحفادِهِ، من مَنْثور كَلَامهم في كُتُبهم ورَسَائلهم، رحمهم اللهُ تَعَالىٰ أَجْمَعين.

فالقولُ في هذا الشَّرْح ينسبُهُ شَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ صاحب الكَلَام، لا إلىٰ جامعِهِ، فلينتبه لذَلكَ، وَفَّقكم الله.

ولقَد اعْتنَىٰ بإخراج هذا الشَّرْح بَعْض طَلَبة الشَّيْخ رَحِمَهُ اللَّهُ ومُحبِّيه -وَفَّقهم الله- مكتوبًا بِتَصرُّفٍ يسيرٍ، وإضافة لبَعْض الفَوَائد من كلام عُلَمائنا ومَشَايخنا -رفع الله قَدْرَهم- مِمَّا يُوضِّح لمَنْ يَقْرأ المتنَ، وينظر في الشَّرْح ما يُيسِّر الفَهْمَ بإذن الله تَعَالىٰ.

نسأل اللهَ الفقهَ في الدِّين، والتَّوفيقَ والهدىٰ والسَّدادَ، والإخلاصَ والقبولَ، والاتِّباعَ للرَّسول ﷺ.

هَذَا، وَقَدْ قامَ قسمُ التَّحقيق والبحث العلميِّ بـ«دار المنهاج» بالتَّعاون مع اللَّجنة العلميَّة لمُؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة المُحَدِّث أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ بتحقيق هذا الكتاب القَيِّم النَّافع تحقيقًا علميًّا وَفْق الخُطُوات العلميَّة المنهجيَّة التَّالية:

١- إثبات الآيات القرآنيَّة بالرَّسْم العثمانيِّ، وعَزْوها إلىٰ مَوَاضعها في المُصْحَفِ الشَّريفِ.

٢- تَخْريج الأَحَاديث بمَنْهجٍ مُوَحَّدٍ، وقَدِ اعْتمَدْنا في التَّخْريجات علىٰ كُتُبِ الحديثِ ذات التَّرْقيمات المُعْتَمدة؛ كـ «ترقيم مُحمَّد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ»، وقَدِ اكْتفَيْنا بتَخْريج الحديث إِنْ كان في «الصَّحيحين»، أو أَحَدهما بذِكْر رَقَمِهِ، وإِنْ كانَ في غَيْرهما ذَكَرنا رَقَمه، أَوْ رَقَم الجُزْء والصَّفحة، ثمَّ أَوْرَدنا حُكْم الشَّيخ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ غالبًا.

٣- تَخْريج الآثار من كُتُبِ التَّفاسير، وكُتُب السُّنَّة، وعَزْو النُّقُولات إلىٰ مَصَادرها من كُتُبِ أَهْلِ العلمِ.

٤- أَثْبتنَا الأحاديثَ الَّتي أَوْرَدها الشَّيْخُ أثناء التَّعْليق بالمَعْنىٰ من كُتُب السُّنَّة بأَلْفَاظها؛ لتَّتضحَ الفائدةُ من ذِكْرها.

٥- شَرْح الغريب من كُتُب الشُّرُوح المُعتمدة وكُتُب اللُّغة، وإِيرَاد بَعْض التَّعْليقات الَّتي رأيناها لازمةً لإيضاح المَعْنىٰ.

٦- وَضَعْنا عناوينَ لفقرات الكتاب المَشْروح تَيْسيرًا علىٰ القارئ حتَّىٰ يصلَ إلىٰ بُغيتِهِ بِيُسرٍ.

٧- عَمَل مُقدِّمةٍ بَيَّنَّا فيها المنهجَ المُتَّبعَ في تَحْقيق هذا الكتاب المُبَارك.

٨- عَمَل فهرسٍ لمُحْتَويات الكتاب.

والله من وَرَاء القصد، وهو المُوفِّق والهادي إلىٰ سَوَاء السَّبيل.

وصلَّىٰ الله وَسلَّم علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

اللجنة العلمية لمؤلفات العلامة أحمد النجمي رحمه الله

قسم التحقيق والبحث العلمي بـ«دار المنهاج»

نبذة عن اللجنة العلمية لمؤلفات العلامة أحمد النجمي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله وَحْدَه، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وبعد:

فنحن وَرَثة الشيخ العلَّامة/ أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نُفوِّض أعضاءَ مَجْلس إدارة المَشْروع العلميِّ والدَّعويِّ لوالدنا، وهم:

١- زيد بن محمد بن هادي المدخلي رئيس مجلس الإدارة

٢- محمد بن زيد بن محمد المدخلي عضو

٣- فواز بن علي بن علي المدخلي عضو

٤- عبد الله بن محمد بن حسين النجمي عضو

٥- محمد بن أحمد يحيىٰ النجمي عضو

٦- حسن بن أحمد بن يحيىٰ النجمي عضو

٧- حسن بن محمد منصور دغريري عضو

٨- حسن بن إبراهيم دغريري عضو

٩- عبد الرحمن بن أحمد بن يحيىٰ النجمي عضو

نُفوِّضهم بالتَّالي:

١- جَمْع مُؤلَّفات والدنا الشَّيخ/ أحمد النَّجمي.

٢- العناية بطباعة مُؤلَّفاته.

٣- جَمْع الصَّوتيات وتَفْريغها.

٤- إخراج الصَّوتيَّات بتسجيلٍ عالي النَّقاء، ونَشْرها علىٰ CD.

٥- العناية بالأنشطة الَّتي تَحْمل اسْمَه.

٦- افتتاح مكتبةٍ علميَّةٍ في قريتِهِ، وتَنْميتها.

٧- الاهتمام بالأَوْقَاف الَّتي أوقفها لنَشْر الدَّعوة إلىٰ الله.

٨- إنشاء موقعٍ له علىٰ الإنترنت.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام المجدد مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب التميمي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله، مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب بن سليمان بن عليٍّ بن مُحمَّد بن أحمد بن راشد التَّميمي النَّجدي.

مولده:

وُلِدَ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، وَنَشَأ في بلدة العُيينة- الواقعة شمال الرِّياض- سنة ١١١٥من هجرة الرَّسول ﷺ، الموافق سنة١٧٠٣م.

نشأته:

نشأ الشَّيخ مُحمَّد في أسرةٍ معروفةٍ بالعلمِ والصَّلاحِ؛ فجَدُّه هو الشَّيْخ سليمان بن عليٍّ عالمُ نجد في زمانِهِ، والَّذي كانت له اليَدُ الطُّولىٰ في كثيرٍ من

الفُنُون، فشُدَّت إليه الرِّحَال من أَصْقاع نجد لتَحْصيل العُلُوم.

وأَبُوه الشَّيخ عبد الوَهَّاب كان عالمًا ورعًا زاهدًا، له معرفةٌ تَامَّةٌ في عُلُوم الشَّريعة وآلَاتها، وقَدْ تَولَّىٰ القَضَاء في عِدَّة أماكن من نجد؛ منها العُيَيْنة، وحريملاء، وله مُؤلَّفاتٌ ورسائلُ مُسْتَحسنةٌ.

وقَدْ نشأ الشَّيْخ في حَجْر أبيه عبد الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ في تلك البلدة في زَمَن إمارة عبد الله بن مُحمَّد بن حمد بن مُعمَّر، وتعلَّم القرآنَ وحَفِظَه قبل بُلُوغِهِ عشرَ سنين، وقَرأَ علىٰ أَبِيه في الفقه، وكان مشهورًا حينئذٍ بحِدَّةِ ذهنِهِ، وسُرْعةِ حفظِهِ، وحُبِّه للمُطَالعةِ في كُتُبِ التَّفْسيرِ، والحديثِ، وَكَلامِ العلماءِ في أَصْل الإسلام حتَّىٰ إنَّ أباه كان يَتعجَّب من فَهْمِهِ، وَيَقُول: «لقَدِ اسْتفَدتُ من وَلَدي مُحمَّد فوائدَ من الأَحْكَام».

وهَكَذا، نشأ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، فأبوه القاضي كان يَحثُّه علىٰ طَلَب العلمِ، وكان يُجَالس بعضَ أقاربِهِ من آل مشرفٍ وغَيْرهم من طُلَّاب العلم، وبَيْتُهُم في الغالب مُلْتَقىٰ طُلَّابِ العلم سِيَّما الوافدين باعتباره بَيْت القاضي، ولا بدَّ أن يَتخلَّل اجْتمَاعاتِهِمْ مناقشاتٌ ومباحثُ عِلميَّةٌ يَحْضرها مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب.

طلبه للعلم:

تَلقَّىٰ العُلُوم الأولىٰ علىٰ والده؛ فَتفقَّه عَلَىٰ المذهبِ الحنبليِّ، وتَلقَّاه علىٰ يَديْهِ بإسنادٍ مُتَّصلٍ يَنْتهي إلىٰ الإمام أَحْمَد بن حنبل، وتَلقَّىٰ كَذَلك عَلَىٰ يَديْهِ التَّفْسيرَ والحديثَ.

كَمَا تَلقَّىٰ عِلْمَ الحديثِ النَّبويِّ ومَرْوِيَّاتِهِ الحَديثيَّة لجميع كُتُب السُّنَّة؛ كالصِّحاح والسُّنَن والمَسَانيد وكُتُب اللُّغة والتَّوْحيد وغَيْرها من العُلُوم عن شَيْخَيه: العلَّامة عبد الله الفَرَضي الحنبلي، والمُحدِّث مُحمَّد حياة السندي، وأَسَانيدُهُما مشهورةٌ معلومةٌ.

وَكَان في صِغَرِهِ مُكِبًّا علىٰ كُتُبِ التَّفْسيرِ، والحديثِ، والعقائدِ.

وكان يَعْتني بكُتُب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيِّم رَحِمَهما الله، ويُكْثر من مُطَالعتها، مِمَّا كان له أَكْبَر الأَثَر في تَكْوين شخصيَّتِهِ، واجتهادِهِ العلميِّ، وَجِهَاده في سبيل نَشْر السُّنَّة، ومُحَاربة البدع.

رحلاته العلميَّة :

تَوجَّه مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب للرِّحْلة في طَلَب العلم؛ فرَحَل إلىٰ مَكَّة، والمدينة، والبصرة غير مَرَّةٍ؛ طلبًا للعلم.

ولَمْ يَتمكَّنْ من الرِّحلة إلىٰ الشَّام، ثمَّ عاد إلىٰ نجد يَدْعو النَّاس إلىٰ التَّوْحيد.

ولَمْ يثبت أنَّ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب قَدْ تَجاوَزَ الحجازَ والعراقَ والإحساءَ في طَلَب العلم.

ولقَدْ كان لعددٍ من العُلَماءِ السَّلفيِّين دورٌ في تَشْكيلِ وبناءِ فِكْر الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، ومنهم الشَّيخ مُحمَّد المجموعي، وبَعْض عُلَماء العراق الآخرين، وقَدْ هَاجَمَ الشَّيْخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب ما رآه من

المَعَاصي هُنَاك، وعادَ غاضبًا.

ومن عُلَماء الإحساء كَانَ للشَّيْخ ابن عبد اللَّطِيف -وهُوَ أَحَد عُلَماء الإحساء الحَنَابلة- دورٌ في بناءِ فِكْر الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب الدِّينيِّ.

علم الشيخ وصفاته:

كان الشَّيخ -رحمه الله تعالىٰ- عَلمًا من الأعلام، ناصرًا للسُّنَّة، وقامعًا للبدعة، خبيرًا مُطَّلعًا، إمامًا في التَّفسيرِ والحديثِ والفقهِ وأُصُولِهِ، وعُلُوم الآلةِ؛ كالنَّحْوِ والصَّرفِ والبيانِ، عارفًا بأُصُولِ عَقَائد الإسلام وفُرُوعِها، كَشَّافًا للمُشْكلات، حَلَّالًا للمُعْضلات، فصيحَ اللِّسانِ، قويَّ الحُجَّة، مقتدرًا علىٰ إبراز الأدلَّة، وواضح البراهين بأَبْلَغ عبارةٍ وأَبْينها، تَلُوحُ علىٰ مُحيَّاه عَلَاماتُ الصَّلاح، وَصَفاء السَّريرة، يحبُّ العباد، ويُغْدق عَلَيهم من كرمِهِ، ويَصِلهم بِبرِّهِ وإِحْسانِهِ، ويُخْلص لله في النُّصْح والإرشاد، كثير الاشتغال بالذِّكْرِ والعبادةِ، قَلَّما يَفْترُ لسانُهُ من ذِكْر الله.

وكان يُعْطي عطاءَ الواثقِ بِربِّهِ، ويَتحمَّل الدَّيْن الكثيرَ عن ضُيُوفِهِ ومَنْ يسألُهُ.

وكان عَلَيه أُبَّهةُ العَظَمة، تنظره النَّاس بعينِ الإجلالِ والتَّعْظيمِ مع كَوْنِهِ مُتَّصفًا بالتَّواضعِ واللِّينِ، مع الغنيِّ والفقيرِ، والشَّريفِ والوضيعِ.

وكان يخصُّ طَلَبة العلم بالمحبَّةِ الشَّديدةِ، وينفق عَلَيهم من مالِهِ، ويُرْشدهُمْ علىٰ حَسَب استعدادهم.

وكان يجلس كلَّ يومٍ عِدَّة مجالسَ ليُلْقي دُرُوسَه في مختلفِ العُلُومِ، من توحيدٍ، وتفسيرٍ، وحديثٍ، وفقهٍ، وأُصولٍ، وسائرِ العُلُوم العربيَّة.

وكانَ عالمًا بِدَقَائِقِ التَّفْسيرِ والحديثِ، وله الخبرةُ التَّامَّة في عِلَلِهِ ورجالِهِ، غير مَلُولٍ، ولا كَسُولٍ من التَّقْرير والتَّحْرير،والتَّأليف والتَّدْريس.

وكان صبورًا عاقلًا، حليمًا، لا يستفزُّه الغضبُ إلَّا أن تُنْتَهك حُرْمةُ الدِّين، أو تُهَانُ شعائرُ المسلمين، فحينئذٍ يُنَاضل بسيفِهِ ولسانِهِ، مُعظِّمًا للعلماءِ، مُنوِّهًا بما لهم من الفضائلِ، آمرًا بالمعروفِ، ناهيًا عن المنكرِ، غير صبورٍ علىٰ البدعِ، يُنْكر علىٰ فَاعِلِيها بلِينٍ ورِفْقٍ، مُتجنِّبًا الشِّدَّة والغَضَب والعنف إلَّا أن تَدْعو إليه الحاجةُ.

۞ مُؤلَّفاته:

أمَّا عن مُؤلَّفاتِهِ فهي كثيرةٌ جدًّا، فَقَدْ قام بتأليفِ عددٍ من الكُتُبِ والرَّسائلِ، نَذْكُرُ منها:

١- كتاب «التَّوحيد»: وهو من أشهر مُؤلَّفاتِهِ، ذَكَر فيه مُعْتقدَه حَوْل حقيقة التَّوْحيد والشِّرْك ومَفَاسده.

٢- كتاب «كشف الشُّبُهات»، ونَسْتَطيع أن نُسمِّيه تكملةً لكتاب «التَّوْحيد».

٣- كتاب «الأُصُول الثَّلاثة»: وهي مَعْرفة الرَّبِّ، ومَعْرفة دين الإسلام،

ومَعْرفة الرَّسول ﷺ.

٤- كتاب «مختصر الإنصاف» و«الشَّرح الكبير».

٥- كتاب «القواعد الأربع»: حيث ذَكَر في هذه الرِّسالة اعْتقَادَه في بَعْض مسائل التَّوْحيد.

٦- كتاب «أصول الإيمان».

٧- كتاب «فضل الإسلام»، وَقَدْ وَضَّح فيه مُعْتقدَه حَوْل مَفَاسد البدع والشِّرْك، وشُرُوط الإسلام.

٨- كتاب «مَسَائل الجاهليَّة»، ذَكَر فيه أكثر من مئة مسألةٍ خَالَفَ الرَّسولُ ﷺ فيها مُعْتقداتِ أهلِ الجَاهليَّة.

٩- كتاب «مختصر السِّيرة»، وهو مُلخَّص من كتاب «السِّيرة» لابن هشام.

١٠- كتاب «الهدي النَّبوي»، وهو مُلخَّص لكتاب «زاد المعاد» لابن القيِّم.

١١- كتاب «شُرُوط الصَّلاة وأركانها»، وقَدْ شَرحَتْ هذه الرِّسالةُ شُرُوطَ الصَّلاة، وهي: الإسلامُ، والعقلُ، والتَّمييزُ، ورفعُ الحَدَث، وإزالة النَّجَاسة، وسَتْر العورة، ودُخُول الوقت، واستقبال القِبْلة، والنِّيَّة، وذَكَرتْ أركانَ الصَّلاة وواجباتها.

١٢- كتاب «الكبائر»، ذَكَر فيه الكبائر، مُفصَّلةً في أبوابٍ، وقَدْ دُعمَتِ الأبوابُ كلُّها بنُصُوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ.

١٣- كتاب «نصيحة المسلمين»، وهَذَا كتابٌ مستقلٌّ قَدْ جَمَع فيه أحاديثَ تَتعلَّق بجميعِ نَوَاحي التَّعْليمات الإسلاميَّة.

١٤- كتاب «تفسير الفاتحة»، وهُوَ تفسيرٌ موجزٌ جدًّا لسُورَة الفاتحة.

١٥- كتاب «تفسير الشَّهادة»، وهو تفسيرٌ لكلمة: «لا إله إلَّا الله»، مع ذِكْر أَهمِّيَّة التَّوْحيد.

١٦- كتاب تَفْسير لبعض سُوَر القرآن، وهي مجموعةٌ لبعضِ تَعْليقاتِهِ علىٰ آياتٍ وسورٍ مختلفةٍ من القرآن.

١٧- كتاب «سِتَّة مواضع من السِّيرة»، وهي رسالةٌ مختصرةٌ تُوضِّح سِتَّة أَحْدَاث من السِّيرة النَّبويَّة، والمَوَاضع السِّتَّة هي: ابتداء نُزُول الوحي، تعليم التَّوحيد والرَّد علىٰ الكُفَّار، قصَّة: (تلك الغرانيق العُلىٰ)، ختام أبي طالبٍ، مَنَافع الهجرة وعظاتها، قِصَّة الارتداد بَعْد وَفَاة الرَّسول ﷺ.

وله عِدَّة رَسَائل صغيرةٍ أخرىٰ يُوجَد بَعْضها في كتاب «روضة الأفكار»، المُجلَّد الأوَّل، الفصل الثَّالث والرَّابع.

۞ شيوخه:

للشيخ محمد بن عبد الوهاب شيوخٌ كثرٌ، نَذْكر منهم:

١- الشَّيْخ عبد الله بن سالم البصري الشَّافعي، حافظ البلاد الحجازيَّة ومُسْنِدها في وقتِهِ (ت ١١٣٤ هـ).

٢- الشَّيْخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف، من أفاضل فقهاء المدينة النَّبويَّة (ت١١٤٠هـ).

٣- الشَّيْخ مُحمَّد حياة بن إبراهيم السِّندي، من كبار المُحدِّثين في عصره (ت ١١٦٣هـ)، وهو من أخصِّ تلاميذ الشَّيْخ مُحمَّد بن عبد الهادي السِّندي، صاحب الحواشي الشَّهيرة علىٰ «المُسْند» والكُتُب السِّتَّة.

٤- الشَّيْخ إسماعيل بن مُحمَّد العجلوني الشَّامي، صاحب المُصنَّف الشَّهير: «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمَّا اشتهر من الأحاديث علىٰ أَلْسِنة النَّاس» (ت ١١٦٢ هـ).

٥- الشَّيْخ عبد الله بن فيروز الإحسائي (ت ١١٧٥هـ).

❁ تلاميذه:

أَخَذ عن الإمام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب الجمُّ الغفيرُ من أهل الدِّرعيَّة والواردين عَلَيها، في وقتٍ كانت فيه حَاضِرَة من حَوَاضر العلم في بلاد المسلمين.

ومِمَّنْ تَتلْمَذ علىٰ الشَّيْخ: أبناؤه (الشَّيْخ حسين، والشَّيْخ عبد الله، والشَّيْخ علي، والشَّيْخ إبراهيم، وحفيده المُجدِّد الثَّاني للدَّعْوة الشَّيْخ عبد الرَّحْمن بن حسن).

ومِمَّنْ أَخَذ عنه: الشَّيْخ سعيد بن حجي.

والشَّيْخ عبد العزيز بن حصين.

والشَّيْخ حمد بن معمر، وغيرهم كثيرٌ.

❁ وفاته:

في عام ١٢٠٦ هـ الموافق ١٧٩١م تُوفِّي الشَّيْخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب في بلدة

العُيينة بالقرب من الرِّياض.

قَالَ ابْنُ غنام في «الرَّوْضة» (٢/ ١٥٤): «كان ابتداءُ المرضِ بِهِ في شوالٍ، ثمَّ كانت وفاتُهُ في يوم الإثنين من آخر الشَّهر»، وَكَذَا قال عبد الرَّحمن بن قاسم في «الدُّرر السنيَّة» (١٢/ ٢٠).

وَكَانَ قَدْ بَلَغ من العُمُر نَحْوَ اثنتين وتِسْعين سنةً، وتُوفِّي ولَمْ يخلف دينارًا ولا درهمًا، فلم يُقْسَمْ بَيْن وَرَثتِهِ مالٌ.

نسألُ اللهَ العظيمَ أن يرحمَ الشَّيْخَ الإمامَ المُجدِّدَ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رحمةً واسعةً، وأَنْ يَجْزيه خيرَ الجزاءِ علىٰ ما قَدَّم لنُصْرة الإسلام وَعَوْد المسلمين إلىٰ مَصْدر عِزِّهم، وَصَافي مُعْتَقدهم.

❁ مصادر ترجمته:

* مَشَاهير علماء نجد وغَيْرهم، عبد الرَّحمن بن عبد اللَّطيف بن عبد الله آل الشَّيخ، النَّاشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

* حَيَاة مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب وحقيقة دعوتِهِ، تأليف الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الرَّحمن الحقيل، الطبعة الأولىٰ ١٩٩٩م.

* مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب مُصْلح مظلوم ومُفْتَرىٰ عليه، الأستاذ مسعود الندوي، ترجمة وتعليق عبد العليم عبد العظيم البستوي، جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلاميَّة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

* تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دكتور عبد الرَّحيم عبد الرَّحمن عبد الرَّحيم، الطبعة الخامسة ١٩٩٠م.

* مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، عقيدته السَّلفيَّة، ودعوته الإصلاحيَّة، وثناء العلماء عليه، أمر بطباعة الكتاب الملك فيصل آل سعود ١٣٩٥هـ.

* دَعَاوىٰ المُنَاوئين لدعوة مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب: عرض ونقض: العبد اللطيف، عبد العزيز بن مُحمَّد بن عليٍّ ١٩٨٩. جدة: دار طيبة.

ترجمة فضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ

اسمه ونسبه:

هُوَ شَيْخُنا العَلَّامة، السلفي، الفَقِيه، المُسْند، المُحَدِّث، حاملُ لِوَاء السُّنَّة ونَاصِرُها، وقَاهِر البِدْعةِ ومُبْطلها، العَالِم الرَّبَّانيُّ الحَبْر، صَاحِبُ الأَخْلاقِ العَلِيَّة، والمَنَاقبِ الرَّضيَّة، ذُو التَّصانِيفِ النَّافعة، والمُصنَّفاتِ الجَلِيلة الرَّائعة، كَانَ مَنَارًا عَظِيمًا مِنْ مَنارَاتِ العِلْمِ، مُتَّفقًا علىٰ عِلْمِهِ، وإمامتِهِ، وجلالتِهِ، وزُهْدِهِ، ووَرعِهِ، وعبادتِهِ، وصيانتِهِ، مُفْتيًا لمِنْطقة جَازَان في عصرِهِ: **أَحْمد بْن يَحْيىٰ بْن مُحمَّد بْن شُبَير النَّجْمي**.

ولادته ونشأته:

وُلِدَ الشيخُ أحمدُ بن يَحْيَىٰ النجمي في ٢٢/ ١٠/ ١٣٤٦هـ بقَرْية النجامية، وكَانَ وحيدًا لأَبَوَيْنِ صَالِحَين لم يُرْزقَا سِوَاه؛ ولِذَلِكَ نَذَرا أَلَّا يُكلِّفانه شيئًا من أُمُور الدُّنيا، بَلْ نَذَرا به لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في تَعْليمِهِ، وتَرْبيتِهِ تَرْبيةً سَلِيمةً صَحِيحةً.

نشأته العلمية:

مَنَّ اللهُ ﷻ علىٰ منطقة جازان بقُدُومِ شيخٍ كبيرٍ، وعالمٍ جليلٍ قادمٍ من بلاد نجد؛ إنَّه الشَّيخ العَلَّامة/ عبد الله بْن مُحمَّد القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ، وكَانَ قُدُومُه لمنطقة جازان عام ١٣٥٨هـ بأَمْرٍ من مُفْتي الدِّيار السعوديَّة آنَذَاك، سماحة الشَّيخ العَلَّامة/ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ، وقَدِ اسْتَقرَّ المقامُ بالشَّيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ في صامطة داعيًا، ومُرْشدًا، ومُعلِّمًا، ثمَّ أَنْشَأ بَعْد ذَلِكَ المدرسةَ السَّلفيَّة بصامطة، وذَلِكَ في عام ١٣٥٩هـ.

وكان المُتَرجم له (الشَّيخُ أحمدُ بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ اللهُ) يَتردَّد علىٰ الشَّيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ كثيرًا بصُحْبة عَمَّيه (الشَّيخ حسين بن محمد النَّجمي، والشَّيخ حسن بن محمد النَّجمي رحمهما الله)، وكَانُوا يَأْخُذون عنه جميعًا العلمَ الشَّرعيَّ، وفي شهر صفر من عام ١٣٦٠هـ سَارَع الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ مع أبناءِ قَريتِهِ النجامية بِالالْتِحَاقِ بالمَدْرسَة السَّلفيَّة بصامطة، وانْتَظمُوا في حَلْقة الشَّيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ، وَاسْتَمعُوا لدُرُوسِهِ، وتَزوَّدُوا من علمِهِ.

فأَخَذ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ عن الشَّيخ القرعاويِّ رَحِمَهُ اللهُ الأُصُولَ الثَّلاثةَ، والتَّجْويدَ، والتَّفْسيرَ وأُصُولَه، وتَابَع معه في عُلُوم القرآنِ، والتَّاريخ الإسلاميِّ، واللُّغة العربيَّة، وغيرها.

كما قرأ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ علىٰ الشَّيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ كتابَ «التَّوْحيد»، و«العقيدة الطَّحاويَّة» بشَرْح الشَّيخ القرعاوي، وقَرَأ عليه «بُلُوغ المرام» و«البَيْقونيَّة»، و«نُخْبة الفِكَر»، وشرحها «نزهة النَّظر»، و«الدُّرر البهيَّة» مع شَرْحها «الدَّراري المضيَّة» في الفقه.

أعماله:

عُيِّنَ من قِبَلِ شَيْخِهِ مُدرِّسًا في مدرسة النجامية التَّابعة لمَدَارِسِ الشَّيخ القرعاويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ احْتِسَابًا، وذَلِكَ في ١/ ٢/ ١٣٦٧هـ.

وفي عام ١٣٧٢هـ، عُيِّنَ بأمرِ شَيْخه عبد الله القرعاوي إمامًا، وواعظًا، وخطيبًا في قَرْية (أبو سبيلة) بالحرث حتَّىٰ نهاية عام ١٣٧٣هـ.

وَفِي بِدَايَة عام ١٣٧٤هـ، تمَّ افتتاحُ المعهدِ العِلْميِّ في صامطة؛ فعُيِّنَ فِيهِ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعلِّمًا، وكَانَ ذَلِكَ في ١/ ١/ ١٣٧٤هـ.

وبَقِيَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ مُدرِّسًا بالمَعْهدِ العلميِّ في صامطة حتَّىٰ ١١/ ٣/ ١٣٨٤هـ، حيث اسْتقَالَ من التَّدْريسِ علىٰ أملِ أَنْ يُواصِل تدريسه في الجَامِعَةِ الإِسْلاميَّة بالمدينَةِ النَّبويَّةِ، وبعدها عَمِل في سِلْك الدعوة إلىٰ الله ثلاث سنوات.

ولمَّا تَعِبَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ من التَّنقُّل بَيْن المُدُنِ والقُرَىٰ- رَغِبَ أن يَعُودَ إلىٰ حَقْل التَّعْليمِ في المَعَاهِدِ العِلْميَّة؛ فنُقِلَتْ خِدْماتُهُ إلىٰ المعهدِ العلميِّ مَرَّةً أُخْرىٰ بجازان، فعُيِّنَ فيه في ١/ ١/ ١٣٨٧هـ، ثمَّ انْتقَل بَعْد ذَلِكَ إِلَىٰ مَعْهدِ صامطة العلميِّ إلىٰ أَنْ أُحِيلَ للتَّقاعُدِ في ١/ ٧/ ١٤١٠هـ؛ لبُلُوغِه السِّنَّ النِّظاميَّة.

ثُمَّ عادَ رَحِمَهُ اللَّهُ واستقرَّ به المقامُ في مَسْقط رأسِهِ بقَرْيتِهِ النجاميَّة إمامًا وخطيبًا بجَامِعِها، ومُعلِّمًا ومُفتيًا فيها.

۞ شيوخه الذين تلقى على أيديهم العلم، وهم بالترتيب الزمني:

١- الشَّيخ عبده بن عقيل النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- الشَّيخ يحيىٰ فقيه عبسي رَحِمَهُ اللَّهُ من أَهْلِ اليَمَن.

٣- الشَّيخ الإمام العَلَّامة الدَّاعية المُجدِّد في جَنُوب المملكة: عبد الله بن مُحمَّد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- الشَّيخ عثمان بن عثمان حملي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- الشَّيخ إبراهيم بن مُحمَّد العمودي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦- الشَّيخ علي بن الشَّيخ عثمان زياد الصُّومالي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧- الشَّيخ حافظ بن أحمد حَكَمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨- الشَّيخ الإمام العَلَّامة مُفْتي البلاد السعوديَّة السَّابق مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩- الشَّيخ الإمام العَلَّامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ تلاميذه:

❑ وقَدْ تَخرَّج عَلَى يَدَي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ آلافُ الطُّلاب والحَمْدُ لله، نذكر منهم:

١ـ العَلَّامة المُحدِّث الدُّكتور/ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله.

٢ـ العَلَّامة الفقيه زيد بن محمد مدخلي حفظه الله.

٣ـ العَلَّامة الدُّكتور/ علي بن ناصر فقيهي حفظه الله.

٤- الشَّيخ الدُّكتور/ مُحمَّد بن هادي المَدْخلي حفظه الله.

وهُنَاك الكَثِيرُ والكَثِيرُ من طُـلَّاب العِلْمِ الَّذين تَخرَّجوا علىٰ يدي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من شَتَّىٰ البُلْدان من المَمْلكةِ العَربيَّة السعوديَّة وَخَارِجها.

مؤلفاته:

لفضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ مؤلفات كُثْرٌ، نذكر منها:

١- إتمام المِنَّة بشرح أصول السُنَّة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- فتح الربِّ الغَني بتوضيح شرح السُّنَّة للمُزني رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣- فتح الرَّحيم الودود في التعليق علىٰ كتاب السُّنَّة من سُنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- إرشاد السَّاري إلىٰ شرح السُّنَّة للإمام البَرْبَهَاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- بُلوغ الأَمَاني بشرح عقيدة ابن أبي زَيْد القَيْرواني رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦- الفوائد الجِيَاد مِن لمعة الاعتقاد.

٧- التعليقات الأثرية علىٰ العقيدة الواسطية.

٨- التعليقات البهية علىٰ الرَّسائل العقديَّة.

٩- الشرح المُوجز المُمهَّد لتوحيد الخالق المُمجَّد الذي ألَّفه شيخ الإسلام مُحمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٠- الأمالي النَّجمية علىٰ مسائل الجاهلية.

١١- فتح الربِّ الغفور ذي الرَّحمة في شرح الواجبات المُتحتمات المَعْرِفة علىٰ كل مُسلمٍ ومُسلمة.

١٢- الفوائد المنثورة بالتعليق علىٰ أعلام السُّنَّة المَنْشورة للحَكَمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣- أوضح الإشارة في الردِّ علىٰ مَنْ أباح المَمنوع من الزيارة.

١٤- تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة.

١٥- رسالة الإرشاد إلىٰ بيان الحقِّ في حكم الجهاد.

١٦- المَوْرِدِ العَذْب الزُّلال فيما انْتُقِد علىٰ بعض المناهج الدَّعوية من العقائد والأعمال.

١٧- ردُّ الجواب علىٰ مَنْ طلب مِنِّي عدم طبع الكتاب.

١٨- فتح الربِّ الودود في الفتاوىٰ والرسائل والردود (٤ مجلدات).

١٩- الفتاوىٰ الجَليَّة عن المناهج الدَّعوية (مجلدان).

صفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

تميَّز شيخُنا أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ بصفات كثيرة جليلة، نذكر منها:

أوَّلاً: حُسْنُ تَعَامل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مع طُلابِه، وتشجيعه لهم:

كان شَيْخُنا أحمدُ النَّجْمي رَحِمَهُ اللَّهُ رُبَّما يَسأل سؤالًا؛ فيقول لأحدِ طُلَّابه: «أَخْبِر السَّائل بالجواب»- إذا عَلِمَ أنَّ الطَّالبَ يُتْقِنُ الجوابَ.

و قال الشَّيخُ مُحمَّد بن مُحمَّد صغير عَكُّور:

«سألني سائلٌ سؤالًا؛ فقلتُ له: أذهبُ أسألُ الشَّيخَ أحمدَ النَّجميَّ، ثمَّ أُبْلِغك الجوابَ! فلمَّا ذهبتُ إلىٰ الشَّيخ، وقلتُ له: سألني سائلٌ سؤالًا؛ فقلت له: أسألُكَ، ثمَّ أُعْطِيه الجوابَ. فقال لي الشَّيخُ: لماذا ما أفتيتَهُ؟ فقلتُ: يا شيخُ، كيف أُفْتِي وأَنْتَ هنا (أو كلامًا نحوه)، فقال الشَّيخُ: إلىٰ مَتَىٰ تَبقون عالَةً علىٰ النَّاس؟!».

و قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

كان الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ رُبَّما يَأتي المُسْتفتِي؛ فيَسأل شيخنَا عن مسألةٍ؛ فيسألُ شَيْخُنا بعضَ الطُّلَّابِ، فيقول لهم: «ما رأيُكم في هذه المسألة؟» حتَّىٰ إنَّه في مرة من المَرَّاتِ قلتُ له: يا شيخَنا، الفَتْوىٰ لكم! فقال شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِن باب المُذَاكرة!».

رُبَّما يُفتي شَيْخُنا في مسألةٍ من المسائل، فيَعْرِض عليه بعضُ الطَّلَبة وِجْهة رأيه في المسألة بأُسْلُوبٍ مُؤدَّبٍ، مُؤيِّدًا ذلك بالأدلَّة؛ فيُغيِّر شَيْخُنا فَتْواه في المسألة.

ممَّا يُلَاحظ أنَّ شَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ كان إذا قَدَّمَ لرسالةٍ أو بحثٍ لأحدِ طُلَّابه، شَجَّعَه بما يكون حافزًا له علىٰ مُوَاصلةِ الجدِّ والبحثِ.

أَلْقَىٰ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ محاضرةً، وحَصَل وَهْمٌ في بعضِ المسائل في المُحَاضرةِ، فأَمَر شَيْخُنا بالشَّريط الَّذي سُجِّلَتْ فيه المحاضرةُ، وصَوَّبَ ما حَصَل من وَهْمٍ فيها، وأعادَ تَسْجِيلَها؛ فرحمةُ الله عليه رحمة الأبرار.

نَقَل شَيْخُنا في بعضِ كُتُبِهِ فوائدَ من بعضِ طُلَّابِهِ، وهذا في غاية التَّواضُعِ.

و قَالَ الشَّيخُ زيد بن مُحمَّد المدخلي -حفظه الله- كلمةً مختصرةً في شَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكنَّها عظيمةٌ في مَدْلولها:

«الشَّيخ أحمد مُرَبٍّ، وحقًّا إنَّه لمُرَبٍّ بأخلاقِهِ، مُرَبٍّ في تَعامُلِهِ مع طُلَّابِهِ وزُمَلائِهِ، ومُجْتمعِهِ».

❑ ثانيًا: عبادة الشَّيخ وزُهده:

عُرِفَ شَيْخُنا العَلَّامةُ رَحِمَهُ اللَّهُ واشْتُهِرَ بحِرْصِهِ علىٰ العبادة، ومنها قيامُ اللَّيل، فلا يتركُهُ في حِلِّه وترحالِهِ، وفي سفرِهِ وإقامتِهِ؛ فكان لا يدعُ قيامَ اللَّيل عليه رحمة الله، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا ينام في اللَّيل إلَّا أربع ساعاتٍ فقط؛ كما أخبرَ بذلك بعضُ طُلَّابِهِ.

❑ ثالثًا: تواضع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

لقَدْ قَدَّمَ شَيْخُنا أحمد بن يحيىٰ النَّجْمي أَرْوَعَ الأَمْثلة في التَّواضُع، فَمَا رَأَتْ عَيْناي مِثْلَه في التَّواضُع.

وإِلَيْك بَعْض مَواقِفِ شَيْخنا الَّتي تدلُّ على تَواضُعِه رَحِمَهُ اللَّهُ:

كَثِيرًا ما كُنَّا نَرَىٰ شَيْخنا يَقُومُ مِنْ مَجْلسِهِ ليَغْسلَ الأَكْواسَ لضُيُوفِهِ، أو يُقَرِّبَ ثلاجاتِ الشَّاي والقَهْوة إِلَيْهم.

حَصَل لي قَبْل سَنَواتٍ كسرٌ في التُّرْقُوةِ، فَما إِنْ وَصَلْتُ من المستشفىٰ، ودخلتُ غُرْفةَ النَّوم في بَيْتي إلَّا وشَيْخنا أَحْمد النَّجمي دَاخلٌ عليَّ، وقَدْ

وَصَله الخبرُ، وجَاءَ مُسْرعًا؛ ليَطْمئنَّ عليَّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

تَتبَّعتُ مَنْ زَارَنِي فِي ذَلِك المرَضِ؛ فرأيتُ أكثرَ مَنْ زَارَنِي هُو شَيْخنا أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

كُنْتُ إذَا غِبْتُ عن شَيْخنا النَّجميِّ يومًا لظُرُوفٍ أو لشُغْلٍ مَا؛ اتَّصلَ بِي مباشرةً، وسَألَ عنِّي، وقال: «مَا رَأيْنَاكَ بالأَمْسِ، عَسَىٰ ما خلاف!»، ثمَّ أُبْدِي له سببَ غِيَابِي.

كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في سنةٍ قديمةٍ يَذْهبُ بسَيَّارتِهِ إلىٰ قريةٍ مجاورةٍ؛ ليَأْخُذَ أَحَدَ طَلَبة العِلْم الفُقَراء المُغْتربين ليأكلَ معه طعامَ الإِفْطارِ شِبْهَ يوميٍّ.

أُثْنِيَ عَلَىٰ شَيْخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ في إِحْدَىٰ المُحَاضراتِ ثناءً كبيرًا، فعَقَّبَ شَيْخُنا علىٰ ذَلِكَ الثَّناء، وَانْتقَدَه، وقالَ: «إنَّما أنَا طُوَيْلبُ عِلْمٍ صغيرٌ».اهـ.

❐ رابعًا: حرص الشيخ على العلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان الشَّيخ أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ عجيبًا في حِرْصِهِ علىٰ العِلْمِ، تعلُّمًا وتعليمًا، وإليك بَعْض المَوَاقف التي ذكرها الشَّيخ عبد الله بن محمد النَّجمي تُؤيِّد ذلك:

قالَ الشَّيخُ زيد بن مُحمَّد المدخلي حفظه الله تعالى: «ما عرفتُ الشَّيخَ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ إلَّا وَهُو يُعلِّم، ويَنْشر، ويَدْعو إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ».اهـ.

قَبْلَ سنواتٍ حَصَل حادثُ سَيَّارةٍ لشَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ، فتَعِبَ علىٰ إِثْرِهِ، فكَتَب أبناءُ الشَّيخ لوحةً علىٰ بابِ بَيْتِهِ يُحدَّد فيها مَوَاعيدُ الاسْتِفْتاءِ، والزِّيارة؛ حِرْصًا مِنْهم علىٰ راحةِ الشَّيخ، فطَلَب مِنْهم إِبْعَادَ اللَّوحةِ، وإِزَالَتها، وبالفِعْل حَصَل ذَلِكَ؛ فلله دَرُّه من شيخٍ نَذَر حَياتَه لله عَزَّوَجَلَّ!

ممَّا يتميز به شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: صَبْرُهُ علىٰ التَّدْريس، فقَلَّ أن تجدَ له نظيرًا في هَذَا البَابِ، فرُبَّما كانَ للشَّيخ في اليومِ الواحدِ سبعةُ دُروس؛ إضافة إلىٰ المُستفتين الذين يأتون للشيخ في اليوم الواحد مِنْ دَاخِل المِنْطقَةِ وخَارِجها، والزُّوَّار الَّذين يَأْتُونَ لزيارة الشَّيخ، وكأنَّه لا يَرْتاحُ، ولَا يَطمئنُّ إلَّا مع الدُّرُوس (التَّدْريس)، بَلْ يَكُونُ علىٰ فِرَاشِ المَرَضِ في البَيْتِ أو في المُسْتَشفىٰ؛ وَهُو يُقْرأ عليه، ويُجِيبُ السَّائلين؛ بَلْ ذَكَر لنا الشَّيخُ الدُّكتور/ مُحمَّد بن هادي المدخلي -حفظه الله- وكانَ مِمَّنْ يحبُّه شَيْخنا، ويُجلُّه «أَنَّه قَرأَ علىٰ الشَّيخ، والجبسُ عَلَىٰ قَدَمِ الشَّيخ، وأثرُ الدَّمِ باقٍ في قَدمِهِ من حادثِ سَيَّارةٍ».اهـ.

❐ خامسًا: كرم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وبذله، وعطاؤه:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

أَمَّا عَنْ كَرَم شَيْخنا، فَسَائِلْ عَنْه كلَّ مَنْ عَرَف شَيْخنا، أَوْ زَارَه، فستَجِد عَجَبًا:

كَانَ شَيْخُنا إِذَا زَارَه أحدٌ مِنْ مُحبِّيه من طَلَبة العِلْمِ أو المَشَائِخ لا يَتردَّد في دَعْوتِهِ للإفطارِ، أو الغداءِ، أو العشاءِ، وكَانَ كثيرًا ما يَتَّصلُ بي، ويَطْلبُ منِّي أَنْ أتَّصل بالمندي؛ لِكَيْ يعدُّوا ذبيحةً، أو نصفَ ذبيحةٍ علىٰ حِسَابِ شَيْخنا؛ بل رُبَّما يَكُونُ شَيْخُنا صائمًا، ومَعَ ذَلِكَ يُكْرِمُ ضُيُوفَه وطُلَّابَه.

مِمَّا عَرفتُهُ من شَيْخنا مِنْ خِلَالِ مُلَازمتِي له: كُنَّا نَذْهَبُ إِلَىٰ أَحَدِ المسارحة يَوْم السَّبت لدرسٍ في «صحيح مسلم»، وعِنْد العَوْدة يَطْلُبُ الشَّيخُ منِّي صرفًا لخمس مئةِ ريالٍ، ثمَّ يَصْرفها دائمًا لطَلَبة العِلْمِ المُحْتاجِين، ويَتعَاهد بها الفُقَراءَ والمَسَاكِينَ.

❑ سادسًا: تعفف الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ صاحبَ تَعفُّفٍ عجيبٍ، وأَذْكُر أنَّه في مَرَّةٍ مِنَ المَرَّاتِ مَرَرْتُ أنا وإيَّاه بمَخْبزٍ، وقال شَيْخُنا: أُرِيدُ بريالٍ خبزًا، فذَهَب، وأخذتُهُ من المَخْبزِ، وقَالَ لي عاملُ المَخْبزِ: لَا تَأْخُذْ من الشَّيخِ الرِّيالَ، وقُلْ لَهُ: الأمرُ سهلٌ، فقَالَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: قُلْ لهم: إمَّا أن يَأْخُذُوا الرِّيالَ، وإمَّا أَنْ أُعِيدَ الخبزَ، فأَخَذُوا الرِّيالَ.

بَعْدَ عِيدِ فِطْر عام ١٤٢٨هـ، جاءَ أحدُ التجَّار لِزِيَارةِ شَيْخِنا رَحِمَهُ اللَّهُ، ثمَّ لمَّا أرادَ الخُرُوجَ من بَيْتِ شَيْخِنا، طَلَب التَّاجرُ منِّي أَنْ أَخْرجَ مَعَه خارجَ المَجْلسِ، فخرجتُ مَعَه، وقالَ لِي: «عِنْدِي خمسةُ آلافِ ريالٍ أُرِيدُكَ أَنْ تُعْطي الشَّيخَ مُسَاعدةً منِّي؛ لأنَّ الشَّيخَ يأتي إليه أُنَاسٌ كثيرٌ!»، فقلتُ له: أنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْتلمَها مِنْك، ولَكِنْ أَعْرض الأمرَ علَىٰ شَيْخِنا، فكَلَّمتُهُ، فقالَ: «إِنْ كَانَ يُرِيدُها لي فأنا -والحَمْدُ لله- بخيرٍ»، ولَمْ يَقْبَلها رَحِمَهُ اللَّهُ.

❑ سابعًا: حرص الشيخ على اتِّباع السُّنَّة:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في غَايَة الحِرْصِ عَلَىٰ اتِّباعِ السُّنَّة؛ فَفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّام، وَفِي صَلَاةِ الظُّهرِ، دَخَل شَيْخُنا الجامعَ القديمَ، وكَانَ لابسًا حِذَاءَه، وتَقدَّمَ المحرابَ؛ وَهُوَ لابسٌ الحِذَاءَ، فقالَ بعضُ النَّاسِ: يَا شيخ، نَسِيتَ الحذاءَ! فقَالَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَمْدًا فعلتُ هَذَا»، فرحمةُ اللهِ عَلَىٰ شَيْخِنا رحمةَ الأَبْرارِ، ما أشدَّ حِرْصَه علىٰ اتِّباعِ السُّنَّة.

كان شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ حريصًا عَلَىٰ تَشْييعِ الجنَائِزِ، وعَلَىٰ التَّعزية، ووالله، لقَدْ رأيتُ مِنْ شَيْخِنا مِنْ ذَلِكَ عجبًا رَحِمَهُ اللَّهُ، ولَقَدْ سافرتُ مَعَ شَيْخِنا إلىٰ مَكَّة؛ لتَشْيِيعِ جِنَازةِ الشَّيخ الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وتَعْزية أَهْلِهِ، وكَانَ شَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا ذَهَب إلىٰ التَّعزيةِ لا يُطِيلُ الجُلُوسَ.

قَالَ الشَّيخُ الدُّكتور مُحمَّد بن هادي حفظه الله:

«كُنْتُ آتِي إِلَىٰ شَيْخِنا أحمد النَّجمي في الضُّحىٰ؛ فكنتُ دائمًا أَدْخُلُ عليه في بيتِهِ القَدِيمِ في صامطة في وَقْتِ الضُّحىٰ، وهُوَ يُصلِّي الضُّحَىٰ».

مَا عرفتُ شَيْخَنا إلَّا وَهُو يخضبُ لِحْيتَه بالحنَّاء؛ عملًا بالسُّنَّة، وما رأيتُ لحيتَه بيضاءَ إلَّا بَعْد أن دخلَ المُسْتَشفىٰ، ودَخَل في غَيْبوبةٍ.

كثيرًا ما كَانَ يَقْرأ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في فَجْر الجُمُعةِ بـ(السَّجْدة والإنسانِ).

❑ ثامنًا: دفاع الشيخ المربر عن السُّنَّة، ووقوفه الصامد في وجه أهل البدع:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

يَتَّضحُ ذلك جليًّا من خِلَالِ كُتُبِ شَيْخنا، ورُدُودِه، ومُحاضَراتِهِ، ودُرُوسِهِ؛ فكلُّها بيانٌ للعَقِيدةِ الصَّحيحة، وتحذيرٌ ممَّا يُضادُّها، وبيانٌ للسُّنَّة، وتحذيرٌ مِنَ البِدَعِ وأَهْلِها بشَتَّىٰ طَوَائِفهم، ومَنَاهِجهم، فهذِهِ كُتُبُهُ شاهدةٌ، ومُحاضَراتُهُ ناطقةٌ، فقَدْ عُرِفَ شَيْخُنا بشَجَاعتِهِ في بيانِ الحقِّ؛ فكانَ رَحِمَهُ اللَّهُ لا يخافُ في اللهِ لَوْمةَ لائمٍ، ويُبيِّن الحقَّ، ويردُّ علىٰ أَهْلِ الباطلِ بَاطِلَهم؛ رَضِيَ مَنْ رَضِيَ، وغَضِبَ مَنْ غَضِبَ.

❁ وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

لقَدْ تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ بمَدِينَةِ المَلِك فَهْد الطِّبِّيَّة بالرِّياض في يَوْم الأَرْبعاء ٢٠/ ٧/ ١٤٢٩هـ في تَمامِ السَّاعة العاشرةِ والنِّصْفِ صباحًا تقريبًا، وذلك بَعْد مُعانَاةٍ طويلةٍ مَعَ المَرَض، وقَدْ أُجْرِيَتْ له عَمليَّاتٌ جراحيَّةٌ في رأسِهِ وبطنِهِ، وَاسْتمرَّتْ مُعاناتُهُ ثمانيةَ أشهرٍ، جَعَل اللهُ ذلك كَفَّارةً لسَيِّئاتِهِ، ورِفْعةً لدَرجاتِهِ في جَنَّاتِ الفِرْدوسِ نُزُلًا.

نُقِلَ جُثْمانُ وَالِدِنا رَحِمَهُ اللَّهُ بطَائرةٍ خاصَّةٍ إلىٰ منطقة جازان بأَمْرٍ من نائب خَادِمِ الحَرمَين الشَّريفين الأمير/ سلطان بن عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، وصُلِّي عليه، ووُوري جُثْمانه عصرَ يوم الخميس الموافق ٢١/ ٧/ ١٤٢٩هـ في مَسْقط رأسِهِ بقرية النجاميَّة.

وقَدْ شَيَّعَ جنازتَه خَلْقٌ كثيرٌ من أبنائِهِ، وأقربائِهِ، ومعارِفِهِ، وطُلَّابِهِ الَّذين جَاؤُوا مِنْ كلِّ مكانٍ؛ من دَاخِلِ بِلَادِنا السعوديَّة وَخَارِجها، وكَانَ مَشْهدُ

التَّشْييع مَهِيبًا؛ حَضَره عددٌ كبيرٌ من المُشيِّعين؛ لم تَشْهد المنطقةُ مثلَه من قَبْل، فكانَ خبرُ وفاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فاجعةً، وأَسىٰ، وحُزْنًا في نُفُوسِ جميعِ مُحبِّيهِ؛ مَنْ عَرَفه، أو نَهَل مِنْ عِلْمِهِ الصَّافي.

نَسْأل اللهَ أن يَتغمَّدَه بواسعِ رَحْمتِهِ، وأَنْ يُسْكنَه فسيحَ جَنَّاتِهِ، اللَّهمَّ آمين.

وقَدْ رَثَاه مجموعةٌ من الشُّعراء والأُدبَاء شعرًا ونثرًا؛ من الدَّاخل أو الخَارِجِ.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الترجمة أودُّ أُن أُشير إلىٰ أنها شيءٌ يسيرٌ ممَّا دَوَّنَه بعضُ أبناءِ الشَّيخ أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ وتلاميذه، وَمُحبِّيه من طُلَّاب العِلْمِ من داخلِ المملكة العربيَّة السعوديَّة وخارجها، وفاءً بحقِّ شيخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ ما قَدَّمه للإسلام والمسلمين.

وقد أردنا بهذه الترجمة المُختصرة التَّعْريفَ بهذا العَالِم الجليلِ لمَنْ لا يعرفُهُ من خلال فقرات هذه الترجمة، نَفَع اللهُ بها الجميعَ دنيا وأخرىٰ.

وجَزَىٰ اللهُ خيرًا كلَّ مَنْ شَارَك في جَمْعِ وإعدادِ فَقَراتِ هذه السِّيرة المختصرةِ، وجَعَلها في مَوَازينِ أَعْمالِهم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وسلم

فتح الرب الغفور ذي الرحمة

في

شرح الواجبات المتحمتات المعرفة على كل

مسلم ومسلمة

الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمها

وَهِيَ: مَعْرفةُ العبدِ ربَّه ودِينَه ونَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ:

فإِنْ قيل لك: مَنْ ربُّك؟ فقل: ربِّي الله الَّذي رَبَّاني ورَبَّىٰ جميع العالمين بنعمتِهِ، وهو مَعْبودي، ليس لي معبودٌ سواه.

وإذا قيل لك: ما دينك؟ فَقُلْ: ديني الإسلام، وهو الاستسلامُ لله بالتَّوْحيد والانقياد، وبالطَّاعة والبراء من الشِّرْك وأهلِهِ.

وإذا قيل لك: مَنْ نَبيُّك؟ فقل: مُحمَّد بن عبد الله بن عبد المُطَّلب بن هاشم، وهاشم من قريشٍ، وقريشٌ من العَرَب، والعربُ من ذُرِّيَّة إسماعيل بن إبراهيم عَلَيهما وعلىٰ نَبيِّنا أفضل الصَّلاة والتَّسْليم.

الشرح

❐ **قال المُصنِّف**[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: الواجبات المتحتمات المَعْرِفَة...؛ أي: الَّتي لا يَجُوز لأحدٍ التَّهَاون فيها، أو التَّسَاهل بتعلُّمها.

وهي: معرفة العبد ربَّه ودينَه ونَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ.

❐ **فأمَّا معرفة العبد ربَّه:** فهو أن يَعْرِفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بآياتِهِ ومخلوقاتِهِ.

❐ **والآيات تنقسم إلى قسمين:**

آياتٌ شرعيَّةٌ قرآنيَّةٌ: وهي آيات القرآن[٢].

---

(١) إن الجامع لهذه الرسالة هو الشيخ عبد الله بن إبراهيم القرعاوي وَفَّقه الله، وهو كما نحسبه طالب علم ببريدة، وسائرًا علىٰ طريقة السلف الصالح -بإذن الله- نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نُزكِّي علىٰ الله أحدًا.
وأحب أن أُنبه طلبة العلم الناشئين -وَفَّقهم الله- أنه غيرُ فضيلة الشيخ الداعية السلفي المصلح: عبد الله بن محمد بن حمد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ شيخ شيخنا الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ الشارح لهذه الرسالة، ولقد قام المصنف -وَفَّقه الله- بجمع متن هذه الرسالة المفيدة من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وأحفاده رحمهم الله تعالىٰ أجمعين.
وهذه الواجبات جَمَعها الشيخ عبد الله من منثور كلامهم في كتبهم ورسائلهم رحمهم الله، فالقول في هذا الشرح ينسبه شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ صاحب الكلام، لا إلىٰ جامعِهِ، فلينتبه لذلك، وَفَّقكم الله.

(٢) آيات القرآن الكريم التي يعلم بها العبدُ ربَّه ويعرفه، ويعرف بها العبدُ ما شرعه الله وأمر به فيعمل به، وذلك بما أوحاه الله أيضًا علىٰ نبيه ﷺ من السُّنَّة الشارحة والمبينة للآيات القرآنية، فيعرف ويعلم العبد ما يحبُّه الله ويرضاه بهذا القرآن الكريم، والوحي والنور الذي أَرْسَل الله به رسوله ﷺ، وأوحاه عليه، فإن العباد لا يعرفون ولا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه إلا بإرساله تعالىٰ الرسلَ، وإنزاله الكتبَ.

آياتٌ كونيَّةٌ قَدَريَّةٌ: وهي الَّتي أَشَار إليها اللهُ في قوله تَعَالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣].

فبَعْد عِلْمِ العَبْد ومعرفتِهِ لربِّه ﷻ؛ فإنَّه بذلك تَحَتَّم علىٰ العبد تَوْحيده لربِّه وإلهه الملك الحقِّ المبين بأَدَاء واجب العبادة له[1] وحده سبحانه دون أحدٍ سواه؛ كائنًا مَنْ كان؛ لأنَّه هو الَّذي خلقك وربَّاك وربَّىٰ جميع العالمين بنعمِهِ، ولذلك فهو المعبود الحقُّ الَّذي ليس هناك معبودٌ بحقٍّ سواه، فـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢].

❐ **أمَّا معرفة الدِّين:** وهو أن تعرف دين الإسلام بالأدلَّة، وهو الاستسلامُ لله بتوحيدِهِ[2]، والانقياد له بالطَّاعة، والبراءة، والخُلُوص من الشِّرْك وأهله.

وهو ثلاث مَرَاتب: الإسلام، فالإيمان، فالإحسان، وكلُّ مرتبةٍ لها أركانٌ كما جاءت مُفصَّلةً في حديث سؤال جبريل عليه السلام النَّبيَّ ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان الَّذي رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هُرَيرة رضي الله عنه، ورَوَاه مسلمٌ، وأبو داود، والدَّارقطنيُّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) يقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

(٢) أي: توحيد الرب الإله الحق ذي الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا بالعبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنها الدعاء والذبح لله، والرغبة والحب فيه، والرهبة، والخوف، والخشوع، والخشية منه، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة بالله، والنذر لله، وغير ذلك من العبادة التي شرعها الله ورسوله ﷺ، وصرفها كلها بأنواعها من عباداتٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ لله وحده لا شريك له؛ لأن مَنْ صرف شيئًا لغير الله فهو مشركٌ كافرٌ.

❐ **وأمَّا معرفة نَبيِّك مُحمَّدٍ ﷺ**: فهو عبدُ الله ورسولُهُ، بَعَثه الله ﷻ ليدلَّ النَّاس علىٰ طاعة ربِّهم، ويُبيِّن لهم كيف يَعْبدونه، ولا يُشْركون به شيئًا.

وأمَّا نَسَبُه، فهو مُحمَّد بن عبد الله بن عبد المُطَّلب بن هاشمٍ، وهاشمٌ من قريشٍ، وقريشٌ من العرب المستعربة، والعرب المستعربة[1] من ذُرِّيَّة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عَلَيهما وعلىٰ نَبيِّنا أفضل الصَّلاة وأتمِّ التَّسليم.

(١) العرب فيها: عرب (عاربة)، و(مُتَعرِّبة)، و(مُسْتَعْرِبة).
فالعاربة: قبائل بادت ودرست آثارُهم، كعاد وثمود وطَسْم وجَدِيس، وهم العرب البائدة.
والمتعربة من العرب: بنو قحطان بن عابر، الذين نطقوا بلسان العاربة، وسكنوا ديارهم.
والمستعربة من العرب: أولاد إسماعيل بن إبراهيم عَلَيهما الصَّلاة والسَّلام. (المرجع: «المعجم الوسيط»).

أصل الدين وقاعدته

❐ **أصل الدين وقاعدته أمران:**

❐ **الأوَّل:** الأمرُ بعبادة الله وَحْده لا شريك له، والتَّحْريض علىٰ ذلك، والمُوَالاةُ فيه، وتكفيرُ مَنْ تَرَكه.

❐ **الثَّاني:** الإنذار عن الشِّرْك في عبادة الله، والتَّغْليظ في ذَلكَ، والمُعَاداة فيه، وتَكْفير مَنْ فَعَله.

الشرح

❐ **أمران، وهما:**

❐ **الأوَّل:** أن يخصَّ العبدُ الرَّبَّ وحده بالعبادة دون أيِّ أحدٍ سواه؛ كائنًا مَنْ كان، وأَنْ يدعو العبد إلىٰ توحيد ربِّه وإلهه إِنْ أمكنه ذلك، ويحبَّ فيه، ويبغضَ فيه، ويوالي عليه، ويعادي عليه، فإنَّ الموالاةَ والمعاداة من أُصُول هذا الدِّين، فقَدْ أخبر الله عن إبراهيم عليه السلام أنَّه تبرَّأ من قومه ومن مَعْبوداتهم

الَّتي يعبدونها من دون الله، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧].

❐ **الثَّاني:** الكفر بالطَّاغوت، بأن يُنْذِرَ ويُحَذِّرَ منَ الشِّرك بجميع صُوَره في رُبُوبيَّة الله وأُلُوهيَّته، ومن الشِّرك: الإلحادُ في أسمائِهِ وصفاتِهِ، والأصلُ في ذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

فلا يصحُّ التَّوحيد إلَّا بالكفر بالطَّاغوت، والبراءة من الشِّرْك وأهله.

شروط لا إله إلا الله

❐ **الأوَّل:** العلمُ بمعناها نفيًا وإثباتًا.

❐ **الثَّاني:** اليقين، وهو: كمال العلم بها، المنافي للشَّكِّ والرَّيب.

❐ **الثَّالث:** الإخلاص المنافي للشِّرْك.

❐ **الرَّابع:** الصِّدْق المنافي للكذب.

❐ **الخامس:** المَحبَّة لهذه الكلمة، ولِمَا دَلَّتْ عليه، والسُّرُور بذلك.

❐ **السَّادس:** الانقياد لحُقُوقها، وهي: الأعمال الواجبة، إخلاصًا لله، وطلبًا لمرضاته.

❐ **السَّابع:** القَبُول المنافي للرَّدِّ.

الشرح

❐ **معناها:** لا معبود بحقٍّ إلَّا الله.

❐ **ركناها:**

١- النَّفي في قوله: «لا إله».

٢- والإثبات في قوله: «إلَّا الله».

فـ «لا إله» نَفَت الأُلُوهيَّة عن كلِّ أحدٍ سواه، و«إلَّا الله» أثبتت الأُلُوهيَّة لله وحده لا شريك له.

❐ **شُرُوطها سبعةٌ:**

❐ **الأوَّل:** العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا، فالنَّفي في جملة: «لا إله»، والإثبات في جملة: «إلَّا الله»، بحيث يعلم وُجُوب الكفر بكلِّ الآلهة سوىٰ الله، ونَفْي العبوديَّة عنها، كما يجب أن يثبت ويفرد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وضدُّ العلم بها، الجهل بذلك.

❐ **الثَّاني:** اليقين، وهو أن يكون المُتكلِّم بها مُتيقِّنًا أي: كامل العلم بها بقلبِهِ، ومؤمنًا بها إيمانًا لا يَعْتريه، ولا يَتطرَّق إليه شكٌّ، ولا ريبٌ.

❐ **الثَّالث:** الإخلاص المنافي للشِّرْك بأَنْ يكون قائلها مخلصًا عند نُطْقِهِ بها، قاصدًا بذَلكَ وَجْهَ الله ﷻ، وأن تَصْدُر منه جميعُ الأَعْمَال خالصةً لله، دون أن تَشُوبها شائبة الشِّرك، أو الرِّياء.

❐ **الرَّابع:** الصِّدق المُنَافي للكذب، المانع من النِّفاق بأَنْ يكونَ صادقًا، إذ إنَّ أقوامًا قَدْ قالوها وهم كاذبون في قولهم وشَهَاداتهم، كما قال عزَّ من قائل سبحانه عَنْهُمْ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ

لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون:١].

❐ **الخامس:** المحبَّة لهذه الكلمة، ولِمَا دلَّت عليه واقتضته، والفرح بفَضْل الله عَلَيه بها، والسُّرور برحمتِهِ له أَنْ وَفَّقه وهَدَاه لهذا، (فما كُنَّا لنهتدي لولا أَنْ هدانا الله)، وتكون المحبَّة بأَنْ يكون القائل لها محبًّا لها، عالمًا بأنَّها سبيل النَّجاة، وأنَّه لا نجاةَ لأحدٍ إلَّا بتَحْقيقها والاتِّصاف بها، وتَعْني كذلك مَحبَّة أَهْلها، وبُغْض أعدائها.

❐ **السَّادس:** الانقياد لله بحُقُوقها، وهي الأعمال الواجبة[1] إخلاصًا لله، وطلبًا لمرضاتِهِ، وأَنْ يبذلَ في سبيلها كلَّ ما طُلِبَ منه، فهو يكفر بالطَّاغوت، ويؤمن بالله، ويُؤدِّي الصَّلاة له، ويعطي الزَّكاة من مالِهِ راضيًا بذلك، قاصدًا بذلك وجه الله، ويبذل نَفْسَه ومَالَه إذا تطلَّب الأمر لذلك بالجهاد في سبيل الله، فهو يَسْمح بإزهاق نفسِهِ وسَفْك دمِهِ، إذا أراد ولزم الأمر لذلك، طالبًا من الله أن يؤتيه النَّصر أو الشَّهادة، فيحيا حياةً خيرًا منها، وقَبِلَ بالتِّجارة مع الله، بأَنْ يشتري اللهُ منه نفسَهُ ومالَهُ، وأنَّ له الجنَّة.

❐ **السَّابع:** القبول المنافي للرَّدِّ بأن يقبلها، قاصدًا بذلك رضا الله عَزَّوَجَلَّ، وطامعًا أن يثيبه بذلك، وتكون سببًا لدُخوله الجنَّة.

وأزيد شرطًا ثامنًا تَجْدر الحاجة إلىٰ ذِكْره في زماننا هذا بانتشار بَعْض

---

(١) الأعمال الواجبة، أي: أعمال الدين الواجبة، وهي جميع ما أوجب الله علىٰ العباد الإيمان به، والعمل به من شرائع الإسلام، ومن شُعَب الإيمان.

الأوراد الصُّوفيَّة[١] الَّتي تُفَرِّق وتَفْصِل بين جزءيها، فأقول: ويحسُنُ -بَلْ ويجبُ ويَتحتَّم- أَنْ يوالي ويصل العبد المسلم بين جزءي «لا إله إلَّا الله» عند النُّطْق بها، فيتبع النَّفي بالإثبات مخالفةً لمن يَفْصِل من أَهْل البدع والطُّرُق الصُّوفيَّة.

وأن يعتقد أنَّ مَنْ فصل النَّفي عن الإثبات، فقَدْ جاء بقولٍ باطلٍ، وهذا مقتضٍ للكفر؛ لأنَّ مَنْ قال: «لا إله، لا إله، لا إله، لا إله، لا إله...»، وأخذ يُردِّد هذا الجزءَ وحده كثيرًا، فقَدْ قرَّر نفي أُلُوهيَّة الله ﷻ، وعلىٰ هذا فإنَّه إذا جاء بعد ذلك بجملة: «إلَّا الله» مفصولةً عن جملة النَّفي؛ فقولُهُ باطلٌ، وعقيدتُهُ كُفْريَّةٌ؛ لأنَّ مَنْ قال: «لا إله» أربع مئة مَرَّة، وقال: «إلَّا الله» مئة مرَّة، أو أكثر من ذلك، أو أقل؛ فإنَّه قَدْ فصل النَّفي عن الإثبات قصدًا يوجب كُفْرَ قائلِهِ، ويُحتِّم عَلَيه أنَّه قَدْ خرج من الإسلام، إذ إنَّ الله ﷻ يَقُول: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩].

فهذا كأنَّه يَقُول: إذا فَصَل وفَرَّق بينهما: (علمت أنَّه لا إله)، ثمَّ هو يُكرِّر هذا الباطلَ والكفرَ كثيرًا، نَعُوذ بالله من ذلك.

وأقول: لقَدْ أَفْسَدت الصُّوفيَّةُ الإسلامَ إفسادًا فظيعًا -والعياذ بالله- وخرَّبَتْهُ خرابًا مُدمرًا، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

(١) كما هو موجود عند فرقة التبليغ هداهم الله، والتي تعتبر من الطرق الصوفية العصرية.

أدلة هذه الشروط من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله ﷺ

❐ **دليلُ العِلْمِ:** قوله تَعَالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد:١٩]، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[الزخرف:٨٦]، أي: بـ «لا إله إلَّا الله» ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[الزخرف:٨٦] بقُلُوبهم ما نَطَقُوا به بِأَلْسِنتِهِمْ.

❐ **ومن السُّنَّة:** الحديث الثَّابت في الصَّحيح عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ ماتَ وهو يعلم أنَّه لا إله إلَّا الله، دَخَل الجنَّة**»(١).

❐ **ودليلُ اليقين:** قوله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات:١٥]، فَاشْتَرط في صِدْق إِيمَانِهِمْ باللهِ ورَسُولِهِ كَوْنهم لَمْ يرتابوا (أي: لَمْ يَشكُّوا)، فأمَّا المُرْتاب فهُوَ من المُنَافقين.

❐ **ومن السُّنَّة:** الحديث الثَّابت في الصَّحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أشهد أَنْ لا إله إلَّا الله، وأنِّي رسول الله، لا يَلْقىٰ الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما إلَّا دَخَل الجنَّة**»، وفي روايةٍ: «**لا يَلْقىٰ الله بهما عبدٌ غير**

(١) أخرجه مسلم (٢٦).

شاكٍّ فيحجب عن الجنَّة»[١]، وعَنْ أبي هريرة أيضًا من حديثٍ طويلٍ: «**مَنْ لقيتَ من وراء هذا الحائط يَشْهد أَنْ لَا إله إِلَّا الله مُسْتيقنًا بها من قلبِهِ فَبشِّرْه بالجنَّة**»[٢].

❐ **ودَلِيلُ الإخلاصِ:** قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، وقولُهُ سُبْحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

ومن السُّنَّة: الحديث الثَّابت في الصَّحيح عن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ: «**أَسْعدُ النَّاس بشفاعتي مَنْ قَالَ: لا إله إِلَّا الله خالصًا من قلبِهِ**»، أَوْ: «**من نفسِهِ**»[٣]، وفي الصَّحيح عن عتبان بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ: «**إِنَّ الله حرَّم علىٰ النَّار مَنْ قال لا إله إِلَّا الله يَبْتغي بذلك وَجْه الله** عَزَّ وَجَلَّ»[٤]، وللنَّسائيِّ في «اليوم واللَّيلة» من حديث رجلين من الصَّحَابة، عن النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ قال لا إله إِلَّا الله وَحْده لا شريكَ له، له الملك، وله الحمد، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، مُخْلصًا بها من قلبِهِ، يصدق بها لسانه إِلَّا فتق الله لها السَّمَاء فَتْقًا، حتَّىٰ ينظرَ إلىٰ قائلها من أَهْل الأرض، وحقَّ لعبدٍ نَظَر إليه الله أن يعطيه سُؤْلَه**»[٥].

❐ **ودَلِيلُ الصِّدْق:** قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٩٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٢٦٣).

(٥) أَخْرَجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص١٥٠)، وصَحَّحه الألبانيُّ في تحقيق كلمة الإخلاص (ص٦١).

ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت:١-٣]، وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة:٨-١٠].

ومن السُّنَّة: ما ثَبتَ في «الصَّحيحين» عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما من أحدٍ يَشْهَدُ أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رَسُول الله، صادقًا من قلبِهِ، إلَّا حَرَّمه الله علىٰ النَّار»**.

❐ **ودَلِيلُ المَحبَّة:** قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، وقَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤].

❐ **ومن السُّنَّة:** ما ثَبت في الصَّحيح عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَد حَلَاوة الإيمان: أن يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مِمَّا سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلَّا لله، وأَنْ يكرَه أن يَعُودَ في الكُفْر بعد إِذْ أنقذه اللهُ منه، كما يَكْره أن يُقْذَف في النَّار»**.

❐ **وَدَلِيلُ الانْقِيَاد:** ما دلَّ عليه قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر:٥٤]، وقولُهُ:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[النساء:١٢٥]، وقولُهُ: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان:٢٢]، أي: بـ «لا إله إلَّا الله»، وقولُهُ تَعَالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥].

❐ **ومن السُّنَّة:** قولُهُ ﷺ: «**لا يُؤْمِن أَحَدُكُمْ حتَّىٰ يكون هواهُ تبعًا لما جئتُ بِهِ**»، وهَذَا هو تمامُ الانقياد وغايتُهُ.

❐ **وَدَلِيلُ القَبُولِ:** قولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الزخرف:٢٣-٢٥]، وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[الصافات:٣٥، ٣٦].

❐ **ومن السُّنَّة:** ما ثَبتَ في الصَّحيح عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ: «**مَثَل ما بَعَثني الله به من الهدىٰ والعلم كمَثَل الغيث الكثير أَصَابَ أرضًا، فكان منها نَقيَّة قَبِلت الماءَ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أَجَادب أمسكت الماءَ، فنَفَع اللهُ به النَّاسَ، فشربوا وسقوا وزَرَعوا، وَأَصَاب مِنْهَا طائفةً أخرىٰ، إنَّما هي قيعانٌ، لا تُمْسِك الماءَ، ولا تُنْبت كلأً، فذلك مَثَل مَنْ فَقُهَ في دين الله، ونَفَعه ما بَعَثني الله به، فعَلِمَ وعلَّم، ومَثَل مَنْ لَمْ يَرْفع بذلك**

رأسًا، ولَمْ يَقْبل هدىٰ الله الَّذي أُرْسلتُ بِهِ».

الشرح

❐ **دليل العلم:** قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

العلمُ شرطٌ في صِحَّة النُّطْق بها، أي: بـ «لا إله إلَّا الله»، فمَنْ قال: «لا إله إلَّا الله» وهُوَ لا يعلم، بل رُبَّما قَدْ يَقَع فيما يُنَاقض هذه الكلمة وهُوَ لا يدري؛ فإنَّه لا ينتفع إلَّا أن يَكُونَ عالمًا بمَعْناها من نفيٍ وإثباتٍ.

ومن الأدلَّة علىٰ ذَلكَ قولُهُ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]؛ أي: شهد بـ «لا إله إلَّا الله»، وهم يعلمون مَعْناها بقُلُوبهم، وما نطقوا به بألسنتهم.

❐ **ومن السُّنَّة:** الحديث الثَّابت في الصَّحيح عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ مات وهُوَ يعلم أنَّه لا إله إلَّا الله، دخل الجنَّة**»[1]؛ أي: يعلم علمَ اليقين أنَّ كلَّ مألوهٍ سوىٰ الله فإنَّه قَدْ أُلِهَ وعُبِدَ بباطلٍ، وأنَّ الله هو الإله الحقُّ الَّذي تجب العبادة له وَحْده لا شريك له.

❐ **دليل اليقين:** قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥]، لم يَشكُّوا في هذه الحقيقة، وهي شَهَادة أن «لا إله إلَّا الله»، وَجَاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصَّادقون

(١) أخرجه مسلم (٢٦).

الَّذين صَدَّقوا القولَ بالفعل.

فاشترط في تصديق إيمانهم بالله ورسولِهِ كونهم لم يَرْتابوا، والارتيابُ هو الشَّكُّ وضَعْفُ اليقين.

وفي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث سؤال المَلَكين (منكرٍ ونكيرٍ) في القبر قَوْله: (فأمَّا المُرْتاب) المنافق الشَّاكُّ؛ فإنَّه حين يُسْأل يَقُول: «**هاه هاه لا أدري، سمعتُ النَّاسَ يقولون شيئًا فقلتُهُ**»(١)، والعياذ بالله.

اللَّهمَّ املأ قُلُوبنا إيمانًا ويقينًا، وامنحنا عافيةً تَحْفظ بها قُلُوبنا من الزَّيغ حتَّىٰ نَلْقاك.

قوله: ومن السُّنَّة، الحديث الثَّابت في الصَّحيح عن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَشْهَد أن لا إله إلَّا الله وأنِّي رسول الله، لا يَلْقىٰ اللهَ بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما إلَّا دَخَل الجنَّة**»(٢).

وَهَذَا قَالَه حينما كان هُوَ وأصحابُهُ سائرين في غزوة تبوك، ونفدت أَزْوَادُهم(٣)، فاستأذنوا رسول الله ﷺ أن يَنْحروا بعض رَوَاحلهم؛ فأذن لبعضهم، فجاء عمر إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، وقال: يا رسول الله، إنَّك إنْ أذنتَ لهم في نَحْر رَوَاحلهم قلَّ الظَّهْرُ، ولكن فليجمعوا ما عندهم من بَقَايا أَزْوَادهم، ثمَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٨٦) من حديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأبو داود (٤٧٥٣) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧).

(٣) جمع زاد، وهو ما عندهم من الطعام والماء، يَتَزَوَّدون به في سفرهم.

ادعُ اللهَ فيها بالبركة، ففعل النَّبيُّ ﷺ، فكان هذا يأتي بِبُرِّه، وهذا يأتي بتَمْره حتَّىٰ اجتمع شيءٌ من ذلك؛ فدعا الله عَزَّوَجَلَّ، وأَمَرهم فجاؤوه، فملؤوا ما عندهم من أوانٍ حتَّىٰ فضلت فضلةٌ، فعند ذلك قَالَ: «**أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنِّي رسول الله، لا يلقىٰ اللهَ بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما إلَّا دَخَل الجنَّة**».

وفي روايةٍ: «... **فيُحْجَب عن الجنَّة**»(١).

وكذا ما جاء في الحديث الطَّويل الَّذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وذكر فيه قوله ﷺ له: «**مَنْ لقيتَ من وراء هذا الحائط يَشْهد أَنْ لا إله إلَّا الله مُسْتَيقنًا بها قلبُهُ، فَبشِّره بالجنَّة**»(٢).

وذلك حين أعطاه النَّبيُّ ﷺ نَعْليه، وأَمَره أن يبشِّر النَّاسَ، فبَشَّرهم.

وهذه الأحاديث رُبَّما ظنَّ بعضُ طَلَبة العلم أنَّ ذلك يكون دخولًا للجنَّة لأوَّل وَهْلَةٍ، والحقيقةُ أنَّ ذلك وعدٌ بدخول الجنَّة لمَنْ ماتَ علىٰ التَّوحيد، وقَدْ يكون ذلك بدون عذابٍ، أو بعد عذابٍ.

فالمُوحِّد الَّذي يموت علىٰ التَّوْحيد، ويَلْقىٰ اللهَ ببعض الذُّنُوب، فهو تحت المشيئة، إِنْ شاء الله عفا عنه فأَدْخَله الجنَّة بدون عذابٍ، وإِنْ شاء الله أَدْخَله النَّار حتَّىٰ يُطهِّره ويُنقِّيه من ذُنُوبه، ثمَّ بعد ذلك يُدْخله الجنَّة.

فالإخبار بأنَّه يدخل الجنَّة، فقَدْ يكون مِمَّنْ يدخلها بلا حسابٍ ولا عذابٍ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧).
(٢) أخرجه مسلم (٣١).

من أوَّل أمره، وقَدْ يكون هو إخبارٌ بمآل أمره، أي: أنَّ مآله سيكون دُخُوله إلىٰ الجنَّة؛ سواء كان ذلك بعد عذابٍ، أو بدون عذابٍ، وبهذا تجتمعُ الأدلَّة.

❐ **دليل الإخلاص:** قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

❐ **ومن السُّنَّة:** الحديث الثَّابت عن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاس بشَفَاعتي مَنْ قال: لا إله إلَّا الله خالصًا من قلبِهِ**».

أَوْ قَالَ: «**... من نَفْسِهِ**»(١).

وفي الحديث الصَّحيح عن عتْبان بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إنَّ اللهَ حرَّم علىٰ النَّار مَنْ قال: لا إله إلَّا الله يَبْتغي بذلك وَجْهَ الله**»(٢).

وللنَّسائيِّ في «عمل اليوم واللَّيلة» من حديث رَجُلَين من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عن النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لا إله إلَّا الله وَحْدَه لا شريك له، لَهُ الملك، وله الحمد، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، مخلصًا بها قلبُهُ، يُصَدِّق بها لسانه، إلَّا فتق الله لها السَّماء فتقًا، حتَّىٰ ينظرَ إلىٰ قائلها من أَهْل الأرض، وحُقَّ لعبدٍ نَظَر اللهُ إليه أن يُعْطيه سُؤْلَه**»(٣).

وأقول: الإخلاصُ مأخوذٌ من الخُلُوص، وهو الصَّفاء والنَّقاء، قَالَ

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥).

(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١/ ١٥٠) (٢٨)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٩٣٢): «منكر».

تَعَالىٰ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل:٦٦].

فقوله: لبنًا خالصًا، أي: قَدْ خلص وَصْفي ونُقِّي من بين الأشياء الَّتي خَرَج منها، فكذلك الإخلاصُ هو الصَّفاء والنَّقاء، بأَنْ يقول هذه الكلمة خالصةً لله، لا يريد بها شيئًا من أُمُور الدُّنيا العابرة، وإنَّما يريد بها الدَّيْنُونَة[1] لله ربِّ العالمين بحقِّه علىٰ عبادِهِ الَّذي أَلْزَمهم به، وهُوَ: أَنْ يَعْبدوه وَحْده لا شريك له.

فالإخلاص: هُوَ ما يكون كَذَلك، اللَّهمَّ اجْعَلنا لك مُخْلصينَ، وعلىٰ نَهْج رَسُولك ﷺ تابعين.

دليل الصِّدْق: قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:١-٣].

وقوله في حقِّ المنافقين: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة:٨-١٠].

والمرض: المُرَاد به مرض النِّفاق والشُّبهة، وهو الشَّكُّ في صِحَّة ما يؤمن ويَقُول بِهِ عبادُ الله المؤمنون من شَهَادة أَنْ لا إله إلَّا الله، وأَنَّ

---

(١) دينونة من الدِّيانة؛ أي: أن يدين بها لله، أو يتدين بها لله.

مُحمَّدًا رَسُولُ الله.

وفي «الصَّحيحين» عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ لي أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لمعاذ بن جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ما من أحدٍ يَشْهد أَنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ صادقًا من قلبِهِ إلَّا حَرَّمَه اللهُ علىٰ النَّار**»(١).

فالصِّدْق هو مُوَافقة الظَّاهر للباطن؛ بأَنْ يَتَّفق القلبُ واللِّسانُ علىٰ هذه الشَّهادة، ولَمْ يكن كاذبًا مُدَّعيًا لما ليس فيه، كالمُنَافقين الَّذين قَالُوها بألسنتهم، وقُلُوبهم تُكذِّب ألسنتهم، فهؤلاء كَذَّبهم اللهُ، فَقَال جلَّ من قائل: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١١].

وَقَالَ سُبْحَانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

فمَنْ شهد بهذِهِ الشَّهادة صادقًا، متواطئًا قلبُهُ مع لسانِهِ عَلَيها، مُعتقدًا وُجُوبَ هذه الشَّهادة، والعمل بها، وعَدَم مُخَالفتها، فذلك هو المؤمن الَّذي حرَّمَه الله علىٰ النَّار، أمَّا مَنْ قال بلسانِهِ خلاف ما في قلبِهِ، وشهد بما لم يَعْتقده، فذَلكَ لا تنفعُهُ شهادتُهُ، نعوذ بالله من حُبُوط العمل، وأَنْ يقولَ الإنسان ما لم يَعْتقده.

❐ **دليل المحبَّة:** قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

وقولُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

(١) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة:٥٤].

❐ **والدَّليل من السُّنَّة:** ما ثبت عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه، وَجَد حلاوة الإيمان: أن يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مِمَّا سواهما، وأَنْ يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلَّا لله، وأَنْ يكره أن يعودَ في الكفر بعد إِذْ أنقذه الله منه، كَمَا يكره أن يُقْذَف في النَّار**»(١).

ومحبَّة المؤمن لربِّه هو تَقْديم طاعتِهِ علىٰ طاعة غيره، والحرصُ علىٰ رضاه بامتثال أَمْره وَاجْتنَاب نَهْيه، وتَصْديق خَبَره، والوُقُوف عند حُدُوده، وأن تحبَّ ما يحبُّ، وتَكْره ما يكره؛ تَذلُّلًا له، وخُضُوعًا لجلالِهِ، رغبةً فيما عنده من الخير، ورهبةً مِمَّا عنده من العذاب.

أَمَّا مَحبَّة الله للمؤمن، فهي صفةٌ ثابتةٌ له جلَّ وعلا، تليق بجلالِهِ، فيجب علىٰ المسلم أَنْ يصفَ الله بما وَصَف به نَفْسَه من الأسماء الحسنىٰ، والصِّفات العليا، فنؤمن بأنَّه يحبُّ المؤمنين، ويبغض الكافرين، وأنَّه يُثيب مَنْ أَطَاعه، ويُعَاقب مَنْ عَصَاه، ولا يجوز أن نَتأوَّل هذه الصِّفة الَّتي هي صفة المحبَّة، بل يجب عَلَينا أن نؤمن بها، ونُمِرَّها كما جَاءَتْ، ونعتقد أنَّ صفات الله تَليق بجلالِهِ، ولا تُقَاس بصفات المخلوقين، وإِنِ اتَّفقَتْ في الأسماء مع صفات المَخْلوقين، فإنَّها تختلفُ في الحَقَائق.

❐ **دليل الانقياد:** قَوْل الله ﷻ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:١٦٥].

وقَوْله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء:١٢٥].

وقَوْله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان:٢٢]؛ أي: بـ: «لا إله إلَّا الله».

وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

قَوْله ﷺ: «**لا يؤمن أَحَدُكم حتَّىٰ يكونَ هواه تبعًا لما جئتُ بِهِ**»(١).

وهَذَا معناه صحيحٌ وموافقٌ لأُصُول الدِّين، فَتَمَام الانقياد وغايتُهُ عندما يكون الرَّسُول ﷺ (وما جاء به) أحبَّ إلىٰ العبد المسلم من نفسِهِ، ووالدِهِ، وولدِهِ، والنَّاس أجمعين.

❐ **ومعنى الانقياد:** أَنْ تكون منقادًا لأوامر ربِّك، وتابعًا لها، ومنساقًا إليها بإيمانك بِهِ، واتِّباعك لما شَرَعه؛ لأنَّك تعلم أنَّ الله لا يأمرك إلَّا بما فيه الخير، وَلَا يَنْهاك إلَّا عمَّا فيه الشَّرُّ.

والَّذي يدلُّ علىٰ الانقياد من القرآن: قولُهُ ﷻ: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾، الإنابة: التَّوبة والرُّجُوع إلىٰ الله.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١/ ٤٦)، وضَعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «ظلال الجنة» (١٥) من حديث عبد الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقوله في الآية الثَّانية: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾، فكَوْنك أسلمتَ وَجْهكَ لله، أي: سلَّمت وَجْهَك لله، أي: سلَّمت اتِّجاهك إلىٰ ربِّك ممتثلًا أَمْرَه، ومجتنبًا نَهْيه، والشَّاهد: أسلم وَجْهَه لله وهُوَ محسنٌ.

وفي الآية الثَّالثة الشَّاهد في قولِهِ: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾.

والشَّاهد في الرَّابعة في قولِهِ: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾.

وَالشَّاهدُ في الحديث قولُهُ ﷺ: «**لا يُؤْمن أَحدُكُمْ**»؛ أي: لَا يُؤْمن حقَّ الإيمان، وَلَا يَكْتَمل إيمانُ أَحدكم «**حتَّىٰ يَكُون هَوَاه تبعًا لِمَا جئتُ بِهِ**»(١).

❐ **دليل القبول:** في قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الزخرف:٢٣-٢٥].

وقولُهُ تَعَالىٰ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات:٣٥، ٣٦].

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» برقم (١/ ٢١٢، ٢١٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١/ ٣٨٧) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال الألبانيُّ في ظلال الجنة (١٥): «سنده ضعيف».

وهذِهِ الآياتُ تَدلُّ علىٰ أَنَّ مَنْ ترك القَبُول عُذِّب؛ لقولِهِ: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

فليس فيها دليلٌ علىٰ القبول إلَّا من ناحية أَنَّ مَنْ ترك القَبُولَ عُذِّب.

إذًا، فلا يُنْجِي العبدَ من العذاب إلَّا قبولُهُ لهذِهِ الكلمة، كلمة التَّوحيد العظيمة «لا إله إلَّا الله».

وفي حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليلٌ علىٰ أنَّ القبولَ يَترتَّب عليه الخيرُ الكثيرُ في قولِهِ ﷺ: «**فكان منها أرضٌ نَقيَّةٌ قبلت الماءَ؛ فأنبتت الكلأَ والعشبَ الكثيرَ**».

فقولُهُ ﷺ: «**قبلت الماءَ**» دليلٌ علىٰ أنَّ قَبُولَ الوحي مُنْبتٌ للأعمال الصَّالحة.

وقوله ﷺ: «**وكانت منها أجادبُ أَمْسَكت الماءَ، فنفع الله بها النَّاسَ، فشربوا وَسَقوا وَزَرَعوا**»، وهذا مَثَلٌ لمَنْ حَمَل العلمَ ولَمْ ينتفع به، بل انتفع به غيرُهُ مِمَّن أَخَذوه عنه.

❐ **والقسم الثَّالث: «إنَّما هي قيعانٌ لا تُمْسك ماءً، ولا تُنْبت كلأً»**.

والمُهِمُّ، أنَّ هذه الشُّرُوط لا بدَّ أن تكونَ مقارنةً لـ: «لا إله إلَّا الله»، وإلَّا فإنَّ القائلَ لها لا ينتفع بها إلَّا إذا كان قَدْ عَرَف مَعْنَاها، وعَمِلَ بمُقْتَضاها.

أمَّا مَنْ لم يَعْلم معناها، أو عَلِمَهُ ولم يعمل بمُقْتَضاها؛ فإنَّ كلمة «لا إله

إِلَّا الله» لا تنفعُهُ، نَعُوذ بالله من ذلك، ولهَذَا يقول النَّبيُّ ﷺ: «**فذلك مَثَل مَنْ فَقُه في دين الله، ونَفَعه ما بعثني اللهُ به، فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَل مَنْ لم يَرْفع بذلك رأسًا، ولم يَقْبل هدىٰ الله الَّذي أُرْسلتُ بِهِ**»(١).

فائدةٌ: وقَدْ جَمَع بَعْضهم شُرُوطَها السَّبْعة، وزاد ثامنًا وهُوَ الكفرُ بالطَّاغوت(٢)، وجَعَلها في بيتين من النَّظْمِ، فَقَال:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقُكَ مَعْ ... محبةٍ وانقيادٍ والقبولِ لهَا
وزيدَ ثامنُها الكفرانُ منك بما ... سوى الإلهِ منَ الأشياءِ قدْ أُلِهَا

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخذه من قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]. وقد تقدم الكلام عنه في أصل الدين، وقاعدته أمران: الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، وسيأتي مزيد تفصيل للكفر بالطاغوت في آخر الرسالة؛ لأهميته وخطورة شأنه.

نواقض الإسلام

❐ **اعلم أنَّ نواقض الإسلام عشرةٌ:**

❐ **الأوَّل:** الشِّرْك في عبادة الله تَعَالىٰ، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة:٧٢]، ومِنْه الذَّبْح لغَيْر الله تَعالَىٰ، كمَنْ يَذْبح للجِنِّ، أو للقبرِ.

❐ **الثَّاني:** مَنْ جَعَل بينه وبين الله وَسَائطَ يَدْعوهم، ويسألهم الشَّفَاعة، ويَتوكَّل عَلَيهم، فذلك كَفَر إِجْمَاعًا.

❐ **الثَّالث:** مَنْ لم يُكفِّر المشركينَ، أو شكَّ في كُفْرِهِمْ، أو صَحَّح مَذْهَبهم.

❐ **الرَّابع:** مَنِ اعْتَقَد أنَّ غير هَدْي النَّبيِّ ﷺ أَكْمَل من هَدْيه، أو أنَّ حُكْم غيره أَحْسَن من حُكْمِهِ؛ كالَّذي يُفضِّل حُكْم الطَّوَاغيت علىٰ حُكْمِهِ، فهو كافرٌ.

❐ **الخامس:** مَنْ أبغضَ شَيْئًا مِمَّا جاء به الرَّسُولُ ﷺ، ولو عَمِلَ به، كَفَر.

❐ **السَّادس:** مَنِ اسْتهزَأَ بشيءٍ من دين الرَّسُولِ ﷺ، أو ثوابِهِ، أو عقابِهِ، والدَّليل قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[التوبة:٦٥، ٦٦].

❐ **السَّابع:** السِّحْر، ومنه الصَّرْف والعطفُ، فمَنْ فَعَله، أو رَضِيَ به، كَفَر، والدَّليل قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾[البقرة:١٠٢].

❐ **الثَّامن:** مُظَاهرةُ المشركين ومُعَاونتُهُمْ علىٰ المُسْلمينَ، والدَّليلُ قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة:٥١].

❐ **التَّاسع:** مَنِ اعْتَقَد أنَّ بَعْضَ النَّاس يَسَعُهُ الخُرُوج عن شريعة مُحمَّدٍ ﷺ، كما وَسِعَ الخضر الخُرُوج عن شَريعَة مُوسَىٰ عليه السلام، فهو كافرٌ.

❐ **العاشر:** الإعْرَاض عَنْ دين الله تَعَالىٰ، لا يَتعلَّمُهُ ولا يعمل بِهِ، والدَّليل قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[السجدة:٢٢].

ولا فَرْقَ في جميع هذِهِ بين الهَازِلِ والجادِّ، والخَائِفِ إلَّا المُكْره، وكلُّها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وُقُوعًا، فيَنْبغِي للمسلم أن يَحْذَرها، ويَخَاف منها عَلَىٰ نفسِهِ، نَعُوذُ بالله من مُوجِبَاتِ غضبِهِ، وأليمِ عِقَابِهِ.

الشرح

❐ **قال الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب** رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنَّ نَوَاقض الإسلام عَشْرة نَوَاقض[1]:

❐ **الأوَّل:** الشِّرك في عبادة الله؛ قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، ومنه الذَّبْحُ لغَيْر الله كمَنْ يَذْبح للجنِّ أو للقبر».

---

(١) العدد هنا ليس للحصر، فنواقض الإسلام التي ذكرها المؤلف عشرة نواقض، والنواقض أكثر من ذلك، فقد ذكر العلماء في أبواب الرِّدَّة وحكم المرتد أنواعًا كثيرةً مما قد يرتد به المسلم عن دينه ويحل دمه وماله.

وقد ذكر المؤلف أخطرها وأعظمها وأكثرها وقوعًا، وما اتفق العلماء عليه، نعوذ بالله من الرِّدَّة بعد الإسلام، ونسأل الله أن يثبتنا ويثبتكم علىٰ دينه، وذلك كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكرها: وكلها (أي: هذه العشرة) تميزت عن البقية بأنها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها علىٰ نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه.

فالرِّدَّة تحصل بارتكاب ناقضٍ من نواقض الإسلام، ونواقضُ الإسلام كثيرةٌ، وترجع إلىٰ أربعة أقسام، وهي:

١- الردة بالقول.

٢- الردة بالفعل.

٣- الردة بالاعتقاد.

٤- الردة بالشك في شيء مما سبق. راجع للفائدة « كتاب التوحيد» للفوزان (ص٢٦).

أقول: إنَّ من كتابات ومُؤلَّفات شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ النَّافعة: «نَوَاقض الإسلام العشرة»، وإنَّ مِمَّا يَنْبغي للمسلم، ويتأكَّد عَلَيه أَنْ يتعلَّم هذه النَّواقض حتَّىٰ لا يقعَ في شيءٍ منها، وهُوَ لا يشعر.

فَأَهَمُّ وأوَّلُ وأخطرُ تِلْكَ النَّواقض هو: الشِّرك بالله عَزَّوَجَلَّ، والأدلَّة علىٰ ذَلكَ كثيرةٌ، مِنْهَا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨].

وَمِنْهَا قَوْل الله عَزَّوَجَلَّ مخبرًا عَنْ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قَالَ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

ومِنْهَا قولُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

إلىٰ غَيْر ذَلكَ من الآيات الدَّالَّة علىٰ أنَّ الشِّرك لا يُقبَل مَعَه عملٌ صالحٌ، ولا تُغفَر له سَيِّئةٌ حتَّىٰ ولَوْ كان من أَقْرَب النَّاس إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأَعْظَمهم جاهًا عنده، وأَعْلَاهم مقامًا عنده.

فقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

وَقَالَ عن الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في سُورَة الأنعام بعد أَنْ ذَكَر عددًا منهم: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

وعَنْ أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبارَك وتَعَالىٰ: أنا أغنىٰ الشُّرَكاء عن الشِّرْك، مَنْ عمل عملًا أَشْرَك فيه معي غَيْري، تركتُهُ وشِرْكَهُ**»(١).

فهذِهِ الأدلَّة كلُّها تدلُّ علىٰ أنَّ مَنْ أشرك بالله أحدًا غَيْره شركًا أَكْبر يَدْعوه من دون الله، أَوْ مَعَه لجَلْب النَّفْع، أو دَفْع الضُّرِّ، معتقدًا قُدْرتَهُ علىٰ ذلك؛ فإنَّه حينئذٍ يكونُ قَدْ خَرَج من الإِسْلَام.

ومن ذلك: الذَّبحُ لغَيْر الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَقُول لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٥].

فمَنْ دعا الأَمْواتَ وَاسْتغَاثَ بهم، أو ذَبَح أو نَذَر لهم، أو ذَبَح للجنِّ، أو ذَبَح تلبيةً لطلبِ ساحرٍ، أو تَوْجيهاتِ كاهنٍ، ومَنْ في حُكْمهما، أو تقرَّب بنُسُكٍ للقبر، أَوْ لصَاحب القبر؛ فإنَّه يُعتَبر قَدْ أَشْرَكَ شركًا أكبر، وَيَترتَّب عليه كُفْرُهُ بوحدانيَّة الله عَزَّوَجَلَّ كفرًا يُخْرجُهُ من الملَّة.

❐ **الثَّاني:** مَنْ جَعَل بينه وبَيْنَ الله وسائطَ يَدْعوهم، ويَسْألهم الشَّفاعةَ، ويتوكَّل عَلَيهم، فقَدْ كَفَر إجماعًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

أقول: الأدلَّة علىٰ هَذَا النَّاقض هي الأدلَّة عَلَىٰ النَّاقض الأوَّل؛ إِذْ إنَّ هذا يُعتَبر نوعًا من أَنْوَاع الشِّرك، والمُشْركون الَّذين بُعِثَ فيهم رَسُولُ الله ﷺ كانوا يَعْتقدونَ انْفِرَادَ الله بالرُّبوبيَّة، وأنَّه لم يُشَاركه أحدٌ في خَلْق الخَلْق، وَلَا رِزْقِهِمْ، وَلَا إِحْيَائهم، وَلَا إِمَاتَتِهِمْ، وإنَّما كانوا يَعْبدونَ مَعْبوداتٍ يَزْعمونَ أنَّها وَسَائط بينهم وبَيْنَ الله، يَطْلبون منهم الشَّفاعةَ؛ أي: أَنْ يُقرِّبوهمْ إلىٰ الله زُلْفَىٰ.

ولهَذَا، فقَدْ جاء في آياتٍ كثيرةٍ إلزام المُشْركين بأنَّ ما يَفْعلونه خطأٌ فاحشٌ، وكفرٌ بقُدْرة الله عَزَّوَجَلَّ، واطِّلاعِهِ، وهَيْمَنَتِهِ؛ فإذا كانوا يَعْتقدُونَ أنَّ الله هُوَ الخالق، وأنَّ الآلهةَ الَّتي يَدْعونها لم تَخْلق شيئًا، ولا تَمْلك لا لها، ولا لهم نفعًا ولا ضرًّا.

ومن ذَلكَ قَوْل الله عَزَّوَجَلَّ بعد أَنْ ذَكَر شيئًا من صِفَاتِ كمالِهِ في سورة فاطر، ثمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر:١٣-١٧].

وَقَالَ في سُورَة الفُرْقان: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ

يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان:٣].

وَقَالَ فِي سُورَة سبأ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ:٢٢]. إلىٰ غَيْر ذَلكَ من الآيات.

بَلْ أَخْبَرَ اللهُ ﷻ في سورة الزُّمَر بأنَّهم قَالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣].

والآياتُ في هذا كثيرةٌ، والمُهِمُّ: أنَّ الَّذين اتَّخذوا من دون الله وَسَائطَ يَطْلبونَ منهم الشَّفَاعةَ، ويَدْعونهم من دون الله، ويَتوكَّلون عَلَيهم؛ فإنَّهم يُعْتَبرون بذَلكَ كافرين كَمَا في خَاتمة آية الزُّمَر.

❐ **الثَّالث:** مَنْ لم يُكفِّر المُشْركينَ، أَوْ شكَّ في كُفْرهم، أو صحَّح مَذْهبَهُمْ، كَفَرَ.

أقول: الله ﷻ قَدْ سمَّىٰ المشركين كُفَّارًا في غَيْر ما آيةٍ، فمِنْ ذَلكَ قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة:٦].

ففي هذِهِ الآية جَمَعَ اللهُ أَهْلَ الكتاب والمشركين، وبيَّن أنَّهم كُفَّارٌ، وأنَّ مَأْوَاهم جهنَّم، وَقَالَ في المشركين عَلَىٰ انفرادٍ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن:٧].

وَقَالَ عَن اليَهُودِ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٦٠، ١٦١].

وَقَالَ عن النَّصَارىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧]، إلىٰ غَيْر ذلك من الآيات.

فمَنْ لَمْ يُكفِّر هؤلاء الكافرين، فإنَّه يكون قَدْ كَفَرَ بخبر الله عَزَّوَجَلَّ عَنْهُمْ أنَّهم كَافِرُونَ، ولذَلكَ فإنَّه يُعتبَر كافرًا من أَجْل ذَلكَ.

❐ **الرَّابع:** مَنِ اعتقدَ أنَّ هَدْي غَيْر النَّبيِّ ﷺ أَكْمَل من هَدْيه، أو أنَّ حُكْمَ غَيْره أحسن من حُكْمِهِ؛ كالَّذين يُفضِّلون حُكْمَ الطَّواغيت علىٰ حُكْمِهِ؛ فهو كافرٌ.

ومن مُقْتَضيات الإيمان برِسَالَة مُحمَّدٍ ﷺ: الإيمان بأنَّ هَدْيَه أَكْمَل هَدْيٍ، وأنَّ حُكْمَه أحسنُ حُكْمٍ، قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

الاستفهامُ في هذِهِ الآية استفهامٌ إنكاريٌّ، مَعْناه: أنَّه لا أحدَ أَحْسَن حكمًا من حُكْم الله تَعَالىٰ، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ في مستهلِّ خطبتِهِ الَّتي كان يبدأ بها: «**وأَحْسَنُ الهَدْي هَدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ**»(١).

فإذا كَانَ خَيْر الهَدْي هَدْيه، صلوات الله وسلامُهُ عَلَيه، فمَنْ لم يَعْتقد

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) بلفظ: «**وخير الهدي هدي محمد**» من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ذلك، بل اعْتقَدَ أنَّ هَدْي غيره أحسن من هَدْيه، أو حكم غَيْره أحسن من حُكْمِهِ؛ فإنَّه حينئذٍ قَدْ كَفَرَ بما جَاءَ به رَسُولُ الله، صَلَوات الله وسلامُهُ عليه، فالَّذين يُفضِّلون حُكْمَ الطَّواغيت عَلَىٰ حكمِهِ يُعْتبَرون كُفَّارًا من أَجْل ذَلكَ.

ويَدْخُلُ في القسم الرَّابع: مَنِ اعْتقَدَ أنَّ الأنظمةَ والقَوَانين الَّتي يَسنُّها النَّاسُ أَفْضَل من شريعة الإسلام، أو أنَّ نظامَ الإِسْلَام لا يَصْلح تطبيقُهُ في القرن العشرين (أو الحادي والعشرين)، أو أنَّه كان سببًا في تَخلُّف المُسْلمينَ، أو أنَّه يُحْصَر في عَلَاقة المرء بربِّه دون أن يَتدخَّل في شؤون الحَيَاة الأخرىٰ.

ويدخل في الرَّابع أيضًا مَنْ يرىٰ أنَّ إنفاذ حُكْم الله في قَطْع يد السَّارق، أو رجم الزَّاني المُحْصَن لا يُنَاسب العصرَ الحاضرَ، ويَدْخل في ذلك أيضًا كلُّ مَنِ اعتقد أنَّه يَجُوزُ الحُكْمُ بغَيْر شريعة الإسلام في المُعَاملات، أو الحُدُود، أو غَيْرهما، وإِنْ لَمْ يعتقد أنَّ ذلك أَفْضَل من حُكْم الشَّريعة؛ لأنَّه بذَلكَ يكون قَدِ اسْتَباح ما حرَّم الله ممَّا هو معلومٌ من الدِّين بالضَّرورة، كالزِّنا، والخَمْر، والرِّبا، والحُكْم بغير شريعة الله، فهُوَ كافرٌ بإِجْمَاع المُسْلمين[1].

❐ **الخامس:** مَنْ أبغض شيئًا مِمَّا جاء به الرَّسولُ ﷺ ولَوْ عمل به، فَقَدْ كَفَرَ؛ لقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٩].

فبُغْضُ ما جاء به الرَّسولُ ﷺ من الأَحْكَام والشَّرائع يُعتبَر كُفْرًا، وإنَّ الواجبَ عَلَينا مَحبَّته ﷺ، ومَحبَّة كلِّ ما جَاءَ به، وأَنْ نعتقد أنَّ كلَّ ما جاء به

(١) راجع رسالة «العقيدة الصحيحة وما يضادها ونواقض الإسلام»، لسماحة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز رحمه الله تعالىٰ.

إِنْ كان حُكْمًا أنَّه أفضلُ الأَحْكَام، وإِنْ كان خُلُقًا بأنَّه أفضل الأَخْلَاق، وإِنْ كان عبادةً بأنَّها أَفْضَل العبادات، فبُغْض ما جاء به، أو بُغْض بَعْض ما جَاءَ به دليلٌ علىٰ النِّفاق، والعياذُ بالله.

فمَنْ وَجَد هذه الخليقةَ أو الخصلةَ في نفسِهِ، فعليه أن يعملَ عَلَىٰ إزالتها، فيَدْعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يُذْهبها عنه، وأن يُبْدِلَهُ بِبُغْضِها حبًّا، وبالاسْتِخْفَاف تعظيمًا، وبالكُرْه لها رغبةً إليها.

□ **السَّادس:** مَنِ استهزأ بشيءٍ من دين الرَّسُول ﷺ، أو ثَوابِهِ، أو عقابِهِ، كَفَرَ، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦].

فَالاسْتِهْزاءُ بدين الرَّسول ﷺ، أو ثوابِهِ، أَوْ عقابِهِ، كُفْرٌ، فمَنِ اسْتَهزأ باللِّحية، أو استهزأ بشيءٍ من أَحْكَام الدِّين؛ فإنَّه يُعتبَر قَدْ كَفَرَ، وخَرَج من الإسلام.

وقَدْ جاء في الحديث: أنَّ بعضَ المُنَافقين قالوا حينما كانوا سَائِرينَ إلىٰ تبوك: ما رَأَيْنا مثل قُرَّائنا هَؤُلَاء أرغب بُطُونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أَجْبن عند اللِّقاء، يَعْنون: رَسُولَ الله ﷺ، وأَصْحابَهُ القُرَّاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فأنزلَ اللهُ هذِهِ الآيات: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

وإنَّ من أَهْل العَصْر مَنْ نَسْمَعُ منه مثل هذِهِ الكلمة، أو أشدَّ، ولا يُبَالي، نَسْألُ اللهَ العفوَ والعافيةَ.

السَّابع: السِّحر، ومنه العطفُ[١] والصَّرفُ[٢]، فمَنْ فَعَله أو رضي به، كَفَرَ، والدَّليل قولُهُ تَعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ الآية.

لقَدْ أَخْبَر اللهُ ﷻ أنَّ السِّحرَ تَعلُّمُهُ كُفْرٌ، ويَلْزم من ذلك أنَّ العملَ به كُفْرٌ، واللهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢].

صريحُ هذِهِ الآية يدلُّ علىٰ أنَّ تعلُّمَ السِّحرِ كُفْرٌ، وأنَّ العملَ به كُفْرٌ؛ لقولِهِ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ الآية، فدلَّ علىٰ أنَّ تَعْليمَ النَّاس السِّحْرَ يُعتبَر كُفْرًا.

وَقَالَ سُبْحانَه: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، فدلَّ ذلك علىٰ أنَّ تَعلُّم السِّحر كُفْرٌ.

---

(١) **العطف**: عملٌ سحريٌّ يقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يهواه بطرقٍ شيطانيةٍ.

(٢) **الصرف**: عملٌ سحريٌّ يقصد منه تغيير الإنسان عما يهواه؛ كصرف الرجل عن محبة زوجته إلىٰ بغضها.

وفي آخر الآية قَالَ جلَّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾؛ أي: ليس له نصيبٌ في الآخرة، بَلْ هو من أَهْل النَّار، ومِمَّن يَسْتحقُّون العذابَ، فهذِهِ الآيةُ مُصرِّحةٌ بكُفْرِ مَنْ تعلَّم السِّحرَ، أو عَمِلَ به؛ سواء كان سِحْرُهُ صرفًا، أو عطفًا، أو غَيْر ذلك.

وقَدْ ذَهَب جُمْهور العُلَماء إلىٰ أنَّ السِّحرَ كُفْرٌ، إلَّا أنَّ الشَّافعيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حُكِيَ عنه فيه تفصيلٌ؛ فإنَّه قَالَ: تَقُول للسَّاحر: (صِفْ لنا سِحْرك).

وأقول: إنَّ القولَ بتَكْفير السَّاحر بدون تفصيلٍ هَذَا هو الحقُّ؛ لِمَا ذُكِرَ في الآية، ولِمَا وَرَد «أنَّ حفصةَ بنت عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كانت لها جاريةٌ، فسَحَرتْها، فأَمَرتْ بقَتْلها»[1]، ولم تَسْتَفصلْ.

وفي حديث بجالَة بن عبدة التَّميمي[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كتب عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٦٢٤)، بلاغًا، ووصله عبد الرزاق في « المصنف» (١٠/ ١٨٠).

(٢) بجالة بن عبدة التميمي العنبري البصري التابعي الجليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كاتب جزء بن معاوية، روىٰ عن كتاب عمر بن الخطاب، وعن عبد الرحمن بن عوف، وعمران بن حصين، وابن عباس، وعنه عمرو بن دينار، وقتادة، وقشير بن عمرو... رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين، كما جاء في «تهذيب التهذيب».

وبجالة بن عبدة وهو كاتب جزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس، قال: أتانا كتاب عمر أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، وكتابه في المجوس...

(بَجالة -بفتح الموحدة بعدها جيم- ابن عَبَدة (بفتحتين) التميمي العنبري البصري، ثقة من الثانية كما في « تقريب التهذيب» وغيره).

وهذه أحد ألفاظ الحديث: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا سفيان عن عمرو سمع بجالة يقول: ثم كنت كاتبًا لجزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس، فأتانا كتاب عمر قبل موته... «أن اقتلوا كل ساحر -وربما قال سفيان: وساحرة- وفَرِّقوا بين كل ذي محرم من

«أن اقْتُلُوا كلَّ ساحرٍ وَسَاحرةٍ».

قَالَ بجالة رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقَتَلنا ثلاثَ سَوَاحرَ».

وما دلَّت عليه الآثارُ أيضًا بالإضافة إلىٰ الآية السَّابقة، أنَّ السِّحْرَ لا يَسْتطيع أن يَفْعلَه إلَّا كافرٌ.

ومن ذَلكَ الأثرُ الَّذي رَوَاه ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره»، عَنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «قدمت امرأةٌ عليَّ من أَهْل دومة الجندل، جَاءَتْ تَبْتَغي رَسُولَ الله ﷺ بَعْد موتِهِ حَدَاثة ذَلكَ[1]، تسألُهُ عن شيءٍ[2] دَخَلت فيه من أَمْر السِّحر ولَمْ تَعْمَلْ بِهِ.

قَالَتْ عَائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لعُرْوة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يابْنَ أُخْتي، فرأيتُهَا تَبْكي حين لم تَجِدْ رَسُولَ الله ﷺ فيشفيها، فكانت تبكي حتَّىٰ إنِّي لأَرْحَمها، وتَقُول: إنِّي أخافُ أَنْ أكونَ قَدْ هَلَكتُ، كان لي زوجٌ، فغابَ عنِّي، فدخلَتْ عليَّ عَجوزٌ، فشَكَوتُ ذَلكَ إِلَيْها، فقالت: إِنْ فعلْتِ ما آمُرُكِ به، فأَجْعَله يَأْتيكِ.

فلمَّا كَانَ اللَّيل، جَاءَتْني بكَلْبين أَسْوَدين، فركبتُ أَحَدهما، وَرَكبَتِ الآخرَ، فلَمْ يكن كشيءٍ[3] حتَّىٰ وَقَفنا ببابل، وإذا برَجُلَين مُعلَّقين بأَرْجُلهما،

=

المجوس، وانهوهم عن الزمزمة؛ فقتلنا ثلاث سواحر...». الحديث، كما في «مسند أحمد» (١/ ١٩٠)، برقم (١٦٥٧).

(١) حَدَثان الأمر، وحداثته: أوله وابتداؤه، تعني عقب وفاة الرسول ﷺ.

(٢) في المخطوط: «أشياء»، والمثبت أعلاه عن « تفسير الطبري» (٢/ ٤٤٠).

(٣) في المخطوط: «لشيء»، والمثبت فوق عن « تفسير الطبري» (٢/ ٤٤٠).

فَقَالا: ما جَاءَ بكِ؟

فقلت: أتعلَّم السِّحْرَ.

فقالا: إنَّما نَحْن فتنةٌ، لا تَكْفري، فَارْجِعِي، فأبيتُ، وقلتُ: لا.

قالا: فَاذْهَبي إلىٰ ذَلكَ التَّنُّور، فَبُولِي فيه، فَذَهبتُ فَفَزعتُ، ولَمْ أَفْعَلْ، فرجعتُ إِلَيْهما.

فَقَالا: أفعلتِ؟

فقلت: نعم.

فقالا: هَلْ رأيتِ شيئًا؟

فقلت: لَمْ أرَ شيئًا.

فَقَالا: لَمْ تَفْعلي، ارْجِعِي إلىٰ بِلَادكِ، وَلَا تَكْفري.

فَأربَبْتُ[1]، وَأَبَيْتُ، فَقَالا: اذْهَبي إلىٰ ذَلكَ التَّنُّور فبُولِي فيه، فذَهَبْتُ فَاقْشَعررتُ، وخِفتُ، ثمَّ رَجَعتُ إليهما.

فقلتُ: قَدْ فعلتُ.

فقالا: فما رأيتِ؟

فقلتُ: لم أرَ شيئًا.

---

(١) في المخطوطة: «أربت»، يقال: رَبَّ بالمكان وأربَّ: أقام به ولزمه فلم يبرحه. يُنظر «معجم تاج العروس».

فَقَالا: كذبتِ، لَمْ تَفْعلي، ارْجِعِي إلىٰ بِلَادِكِ، وَلَا تَكْفري، فإنَّكِ عَلَىٰ رأس أَمْرك، فأربيتُ وأبيتُ.

فَقَالا: اذْهَبي إلىٰ ذَلكَ التَّنُّور، فبُولِي فيه، فَذَهبتُ إليه، فبُلْتُ فيه، فرأيتُ فارسًا مُقنَّعًا بحديدٍ خَرَج منِّي، فذَهَب في السَّمَاء، وغَابَ حتَّىٰ ما أراه، فجئتُهُما، فقلتُ: قَدْ فَعَلتُ.

فَقَالا: فما رأيتِ؟

قلتُ: رأيتُ فارسًا مُقنَّعًا خَرَج مِنِّي، فذَهَب في السَّمَاء حتَّىٰ ما أَرَاه.

فَقَالا: صَدَقتِ، ذَلكَ إِيمَانُكِ خَرَج منكِ، اذْهَبي.

فقُلْتُ للمرأة: واللهِ، ما أَعْلَمُ شيئًا، وما قَالَا لي شيئًا.

فقلتُ: بلىٰ، لَمْ تُرِيدِي شيئًا إلَّا كَانَ، خُذِي هَذَا القَمْحَ فَابْذُرِي، فبذرت، وقلتُ: أطْلِعِي، فأطلعت. وقلتُ: أَحْقلي فأحقلت، ثمَّ قلتُ: أَفْرِكي فأفرَكَتْ، ثمَّ قلتُ: أيبسي فأيبست.

ثمَّ قلتُ: أطحني فأطحنت، ثمَّ قلتُ: أخبزي فأخبزت، فلمَّا رأيتُ أنِّي لا أريد شيئًا إلَّا كان، سقط في يدي، وندمتُ -والله- يا أمَّ المؤمنينَ، واللهِ ما فعلتُ شيئًا قطُّ، ولا أفعلُهُ أبدًا».

ورَوَاه ابْن أبي حاتمٍ عن الرَّبيع بن سُلَيمان به مُطوَّلًا كما تَقدَّم، وزاد بعد قَوْلها: «ولا أفعلُهُ أبدًا».

فسألتُ أَصْحابَ رَسُول الله ﷺ حَداثة وَفَاة رَسُول الله ﷺ، وهُمْ يومئذٍ

مُتَوافرونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فما دَرَوْا ما يَقُولُون لها، وكلُّهم هابَ وخافَ أَنْ يُفْتيها بما لا يعلمُهُ، إلَّا أنَّه قَدْ قال لها ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أو بعض مَنْ كان عنده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «لَوْ كان أبواك حيَّين، أو أَحَدُهُما لَكَانَ يَكْفِيَانكِ؟»(١).

وَمِمَّا يدلُّ علىٰ أنَّه لا يَسْتطيع السِّحرَ إلَّا ساحرٌ كافرٌ، أنَّ الشَّياطينَ الَّتي تَكُون بالسِّحْر في المَسْحور تَقُول: إنَّ فلانًا الَّذي أمرنا، نَحْن لا نَسْتَطيع الخُرُوجَ منه، ويصفون الشَّياطينَ حينما يُعلِّمونه السِّحرَ بأنَّهم يَشْترطونَ عَلَيه أَنْ يدخلَ بالمُصْحف الحَمَّامَ، ويبولَ عَلَيه، وينتعلَ به أربعين يومًا، فهذا كلُّه يدلُّ علىٰ أنَّ السَّاحرَ لا يَسْتطيع السِّحْرَ إلَّا بَعْد أن يكفرَ.

ومن هنا نقول: إنَّ السِّحرَ كفرٌ كلُّه، وأنَّ عملَه كفرٌ، وأنَّه يجب قَتْلُ السَّاحر حدًّا، والظَّاهرُ حتَّىٰ ولو أنَّه أظهرَ التَّوبةَ، علمًا بأنَّ السِّحْرَ ينقسم إلىٰ قِسْمَين:

١- سِحْر تأثيرٍ.

٢- وسِحْر تخييلٍ.

فأمَّا سحر التَّأثير: فهو الَّذي يَحْصل به للمَسْحور تَخيُّلاتٌ وأَشْياء، ويتأثَّر به حتَّىٰ لا يكادَ يَسْتقرُّ له قرارٌ، ورُبَّما أنَّه تأتي عليه سنواتٌ وهو ما طَعِمَ لذَّةَ الرَّاحة، ولا نِعْمةَ العَقْل، ولو ذَهَب إلىٰ المستشفىٰ وكَشَفوا عليه كشفًا طبيًّا لَقرَّروا أنَّه ليس فيه شيءٌ.

ومن هَذَا ما وَرَد أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ، فعَنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «سُحِرَ

---

(١) أخرجه ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (١/ ١٣٥).

النَّبيُّ ﷺ حتَّىٰ إنَّه ليُخيَّل إليه أنَّه يفعل الشَّيءَ وما فَعَله، حتَّىٰ إذا كان ذات يومٍ وهو عندي، دَعَا اللهَ ودَعَاه، ثمَّ قال ﷺ: «**أشعرتِ يا عائشةُ أنَّ الله قَدْ أفتاني فيما استفتيتُهُ فيه؟**».

قلتُ: وما ذاك يا رسولَ الله؟ قال ﷺ: «**جَاءَني رَجُلان، فجلس أَحدُهُمْ عند رأسي، والآخر عند رِجْلي، ثمَّ قَالَ أَحدُهُمْ لصاحبِهِ: ما وجع الرَّجل؟ قال: مَطْبوبٌ**[1]. **قال: ومَنْ طَبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهوديُّ من بني زريق.**

قال: فِيمَ؟ قال: في مُشط ومُشَاطَة[2]**، وجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَر**[3]. **قال: فأَيْنَ هو؟ قال: في بئر ذي أروان**»[4].

قَالَتْ: فَذَهبَ النَّبيُّ ﷺ في أُنَاسٍ من أصحابِهِ إلىٰ البئر، فَنَظَر إليها، وَعَلَيها نخلٌ، ثمَّ رجعَ إلىٰ عائشةَ، فَقَال ﷺ: «**واللهِ، لكأنَّ ماءها نُقَاعة الحِنَّاءِ، ولكأنَّ نَخْلها رُؤُوس الشَّياطين**».

قَالَتْ: يا رَسُولَ الله، أفأخرَجْتَهُ؟ قال ﷺ: «**لا، أَمَّا أنا فقَدْ عَافَاني الله وشَفَاني، وخشيتُ أَنْ أثيرَ علىٰ النَّاس منه شرًّا**»[5].

---

(١) أي: مسحور.

(٢) **المشاطة**: هي الشعر الذي يَسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحه.

(٣) أي: وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذي يكون عليه، ويطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ، ولذا قيده في الحديث بقوله: «**طلعة ذكر**».

(٤) بئر في المدينة في بستان لأحد اليهود.

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٦٥)، ومسلم (٢١٨٩).

أمَّا سحر التَّخييل: فهو ما ذَكَره الله عَزَّوَجَلَّ عن السَّحَرة الَّذين كانوا مع فِرْعَون، قَالَ عزَّ من قائل: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦].

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦].

الثَّامن: مُظَاهرة المشركين ومُعَاونتهم علىٰ المُسْلمينَ، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

مَنْ أَعَان المشركين والكافرين واليهودَ والنَّصَارىٰ علىٰ المُسْلمينَ، فهَذَا يُعَدُّ كافرًا، وعَملُهُ كُفْرٌ؛ لأنَّ مُظَاهرةَ المُشْركينَ ومُعَاونَتَهم علىٰ المسلمين دليلٌ علىٰ تَولِّيهم دون المسلمين، والتَّولِّي دليلٌ علىٰ مَحبَّة مِلَّتهم الكفريَّة وإِيثَارهَا علىٰ الإسلام، ولا شكَّ أنَّ هَذَا كُفْرٌ موجبٌ للخُرُوج من المِلَّةِ، والعياذُ بالله.

ولَيْسَ المُرَادُ بِتَولِّي المشركين والكُفَّار التَّعاون معهم علىٰ شيءٍ مُحرَّمٍ مِمَّا حرَّمَه الإسلامُ ومَنَعه.

وَقَدْ كَتَبتُ في هَذَا المَوْضوع فتوىٰ فيها شيءٌ مِنَ التَّفصيل؛ ذَلكَ أنَّ بعضَ النَّاس جَعَل التَّعَاونَ مع أقوامٍ من الكُفَّار علىٰ مَنْع الإرهاب الَّذي حرَّمَه اللهُ ورَسُولُهُ ﷺ، جَعَلوا ذلك كُفْرًا وَارْتدَادًا، والحقُّ الَّذي يجبُ المصيرُ إليه أنَّه إذا عَرَضتْ عَلَينا فئةٌ من فئات الكُفْر أَنْ نَتعَاونَ معها وتَتعَاونَ مَعَنا علىٰ مُحَاربة شيءٍ مِمَّا يمنعُهُ الإسلامُ، ويأمُرُ بمُحَاربتِهِ ومَنْعِهِ؛ فإنَّ لنا أَنْ نفعلَ ذَلكَ.

فلَوْ عُرِضَ عَلَينا مَنْعُ الزِّنا مثلًا، أَوْ مُحَاربة الإرهاب -مثلًا- الَّذي هو التَّفجيراتُ الَّتي يَقُوم بها بَعْضُ النَّاس من المُسْلمينَ، ويَزْعمونَ أنَّ ذلك عبادةٌ، قلنا: نَتعَاون مَعَهُمْ عَلَىٰ ذلك.

لكن إِذَا عَرَضتْ عَلَينا فئةٌ من فئات الكُفْر أَنْ نُحَاربَ الحِجَابَ الَّذي أَمَر اللهُ بِهِ، أو اللِّحىٰ الَّتي أَمَر اللهُ بإِعْفَائها، أو أي شيءٍ من مَظَاهر الإِسْلَام، أَوْ طلبت منَّا هذِهِ الفئةُ أَنْ نَتعَاونَ مَعَها علىٰ المُسْلمينَ، فهَذَا لا شكَّ فيه أنَّه لا يَجُوزُ لنا، بَلْ مَنْ فَعَله، وتَعَاون مَعَهم فيه، وظَاهَرَهم عَلَيه؛ فإنَّه يُعدُّ مواليًا لأَهْل الكُفْرِ، ومتظاهرًا مَعَهم عَلَىٰ أَهْل الإِسْلَام، فهَذَا نَوْعٌ من أنواع الرِّدَّة.

❐ **التَّاسع:** مَنِ اعْتقَدَ أنَّ بعضَ النَّاس يسعُهُ الخُرُوج عن شريعة مُحمَّدٍ ﷺ كَمَا وسع الخضر الخُرُوج عَنْ شريعة مُوسَىٰ عليه السلام، فهُوَ كافرٌ؛ لقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

أقول: إنَّ شريعةَ مُحمَّدٍ ﷺ شريعةٌ عامَّةٌ لجميع أَهْل الأَرْض؛ إِنْسِهِمْ وجِنِّهِم، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].

والنَّبيُّ ﷺ قَالَ: «**أعطيتُ خمسًا لَمْ يعطهنَّ أحدٌ قَبْلي...**». ومنها: «**وكان النَّبيُّ يُبْعَث إلىٰ قومِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلىٰ النَّاس عَامَّةً**»(١).

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

فربَّما أنَّ بَعْضَ الجُهَّال يَعْتقد جَوَاز الخُرُوج عن شِرْعةِ مُحمَّدٍ ﷺ، كَمَا حَصَل للخضر الخُرُوجُ عن شِرْعة مُوسَىٰ عليه السلام بعُمُوم بَعْثة مُحمَّدٍ ﷺ وشِرْعتِهِ، وأنَّه لا يَخْرج عنها أحدٌ أبدًا، وأنَّ مَنْ تَبِعَهُ وقَبِلَ ما جَاءَ به، نَجَا.

ومَنِ ادَّعىٰ الخُرُوج عن شِرْعتِهِ، وزَعَم أنَّ ذلك جائزٌ كبعض غُلَاة المُتصوِّفة؛ فإنَّ ذَلكَ يُعَدُّ كُفْرًا ورِدَّةً عن شريعتِهِ صَلَوات الله وسلامُهُ عليه.

❐ **العاشر:** الإِعْرَاضُ عَنْ دين الله، لا يَتعلَّمُهُ، ولا يَعْمَلُ به، والدَّليل قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

وأقول: إنَّ الإعراضَ عَنْ دين الله، وعَدَم تَعلُّمه والعَمَل به حتَّىٰ ولو عُرِضَ عَلَيه كتَرْك شَهَادة أَنْ «لا إله إلَّا الله»، أو قَوْلها باللِّسان، وعَدَم تعلُّم مَعْناها مع الإتيانِ بمُنَاقِضٍ لها، فإذا دُعِيَ إلىٰ أَنْ يَتعلَّم «لا إله إلَّا الله» حتَّىٰ لا يَقعَ فيما يُنَاقضها أَبَىٰ وأَعْرَض وَاسْتَكْبَر، وهو مع ذلك واقعٌ فيما يُنَاقضها؛ كعِبَادَة الأَوْليَاء، والإتيان إلىٰ السَّحَرة والمُنجِّمين، أو الطَّواف بالقُبُور، وسَوْق النَّذر لها، أو يَمْتَنع عن أَدَاء الصَّلاة الَّتي أَمَر اللهُ بها، وهي عَمُودُ الإسلام، فهَذَا الإعراضُ يحملُ عَلَىٰ الإعراض عن أُصُول الدِّين الَّتي لا يكون الإنسانُ مُسْلمًا إلَّا بقَبُولها، والإتيان بها، والتَّعلُّم لها، والعَمَل بها.

فمَنْ أَعْرضَ عن هذِهِ الأُصُول والقَوَاعد، وأَبَىٰ أن يَقْبلها، وأَبَىٰ أن يتعلَّمها، وأبىٰ أَنْ يَعْملَ بها، فإنَّه يكون كافرًا كفرَ إعراضٍ.

❐ **مع العلم أنَّ الإعراض ينقسم إلى قسمين:**

❐ **الإعراضُ الكليُّ:** وهو الَّذي يكون إعراضًا عن أُصُولِهِ وقَوَاعِدِهِ، كما قلنا، وهذا يُوجِبُ الكفرَ.

❐ **الإعراضُ الجزئيُّ:** وهُوَ الإعراضُ عَنْ بعض الأَحْكَام الفرعيَّة، وَعَدم العَمَل بها.

كمَنْ يحلقُ لحيتَهُ، أَوْ يُسْبل ثوبَهُ، أو أنَّ امرأةً تمتنع من الحجاب، وتَتبرَّج، أَوْ ما أشبه ذلك، فهذا إعراضٌ لا يكون موجبًا للكُفْر، بَلْ هو فسقٌ، ولا يُكفِّر بذلك إلَّا الخَوَارجُ والمعتزلةُ، أمَّا الجُمْهورُ (أي: جُمْهور أهل السُّنَّة)، فلا يُكَفِّرون بذَلكَ.

قَدْ قُسِّم الكفرُ الأكبرُ الَّذي يُخْرج من المِلَّة إلىٰ أَرْبَعة أقسامٍ.

وسيأتي شَرْحها إن شاء الله، يُنْظر (ص١٠٤)، وما بَعْدها وهي:

١- كفرُ الإعراضِ.

٢- كفرُ التَّكذيبِ: ككفر كُفَّار قريش.

٣- كفرُ العنادِ: ككفر إبليس، وكفر فرعون وقومِهِ، قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

٤- كفرُ الشِّرك بالله: بأَنْ يعتقدَ لله شريكًا، أو يَعْتقدَ بأنَّ الأولياءَ لَهُمْ مقامٌ عند الله، فَيتَّخذهُمْ وسائطَ، ويَعْبدهم ويَدْعُوهُمْ من أجل ذَلكَ.

❐ **أمَّا النِّفاقُ الاعتقاديُّ:** فيمكن أن يُعَدَّ نوعًا خامسًا، ويُمْكن أَنْ يُقَالَ:

إنَّه داخلٌ في كُفْرِ التَّكذيب؛ لِكَونهم أَظْهَروا التَّصديقَ، وأَبْطَنوا التَّكذيبَ.

وقَدْ عَدَّ أنواعَ الكفر الأكبر أربعًا كُلًّا من: العلَّامة الصَّنعانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «العدة»، والشَّيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ في قصيدتِهِ الدَّاليَّة «الجوهرة الفريدة».

وعَدَّه شَيْخُ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ خَمْسةَ أنواعٍ، ولكنَّ الخامسَ يمكن أَنْ يكونَ داخلًا في كفر التَّكذيب، كما قلت، هذا الَّذي ظهر لي.

قول الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا فَرْقَ في جميع هذه النَّواقض بين الهازل والجادِّ والخائف، إلَّا المُكْرَه، وكلُّها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وُقُوعًا، فيَنْبغي للمسلم أَنْ يَتعلَّمها ويَحْذَرها، ويَخَافَ منها علىٰ نفسِهِ، نعوذ بالله من مُوجبات غضبِهِ، وأليم عقابِهِ.

وأقول: هذِه الخاتمةُ الَّتي أَوْصَىٰ فيها رَحِمَهُ اللَّهُ بأَنْ يحذرَ الإنسانُ المسلمُ من الوُقُوع في شيءٍ من هذه النَّواقض، بأن يَقُولَه أو يَفْعلَه جادًّا أو هازلًا، إذ إنَّ مَنْ قال شيئًا من هذِهِ النَّواقض علىٰ سبيل الهَزْل يدلُّ فِعْلُهُ علىٰ الاستخفاف بالشَّريعة، والتَّجرُّؤ علىٰ ما يُنَاقضها.

فلا يَجُوزُ لمسلمٍ أَنْ يَقُولَ شيئًا من الأقوال الشِّركيَّة عَلَىٰ سبيل الهَزْل، أو يَسْتهزئ بشيءٍ من دين الرَّسول ﷺ، أو ثوابِهِ، أو عقابِهِ علىٰ سبيل الهزل واللَّعب، وكَذلكَ في جميع النَّواقض، لا يَجُوزُ لأحدٍ أن يستخفَّ بذَلكَ، ويَعْمل شيئًا منه، فإنَّ ذلكَ مثلما يُقَال: «اللَّعب بالنَّار»؛ أي: لعِظَمِ خُطُورتِهِ، وكِبَرِ جُنْحِهِ وإثمِهِ، فالحذرَ الحذرَ!

أمَّا المُكرَه، فقَدْ وَرَدَ فيه نصٌّ في كتاب الله حين كَانَ عَمَّار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

تحت العَذَاب، وما زالوا به حتَّىٰ ذَكَر آلهتهم بخَيْرٍ، فجاءَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، وقَالَ الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: كَفَر عَمَّارٌ!

فَقَال النَّبيُّ ﷺ: «**ما كَفَر عَمَّارٌ؛ إنَّ عَمَّارًا مُلِئَ إيمانًا من أَخْمصِهِ إلىٰ مُشَاشِهِ**»، فأنزلَ اللهُ -جلَّ وَعَلا- الآية الَّتي في سُورَة النَّحل: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]»[(١)].

وقول الشَّيخ: «والخائف»، يَعْني: أنَّ الخائفَ مُجرَّد خوفٍ لا يُبَاح له ذَلكَ، ولا يُعَدُّ مُكرهًا إلَّا إذا حَسَّ بعَذَابٍ، أو هُدِّد بالقتل، أو ما أَشْبَه ذلك، فيكون عندئذٍ مُكْرهًا.

لكن هناك مسألةٌ يَنْبغي التَّنبيه عليها، وهِيَ: هَل الإكراهُ يَكُونُ عذرًا في القَوْل والفِعْل؟ أو في القَوْل فقط؟

هذا محلُّ نَظَرٍ، إذ إنَّ عَمَّار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما سَجَد لآلهتهم، ولا طَافَ لها، ولا ذَبَح لها، ولكن قَالَ بلسانِهِ قولًا، فهل الفعلُ يَكُونُ مثل ذلك؟

فمَنْ طُلِبَ منه أن يسجدَ لصنمٍ، أو يَفْعل شيئًا من الأَفْعَال الَّتي تُعَدُّ شركًا أكبر، فهَلْ يجوز له ذلك تَرخُّصًا بفِعْل عَمَّارٍ الَّذي نَزلَتْ فيه الآية؟

فَفِعْلُ عَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذي حصل منه إنَّما هو بالقول، وحديث: «**دَخَل رجلٌ**

---

(١) أخرجه النسائي (٥٠٠٧) بنحوه، وابن ماجه (١٤٧)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦٠٥، ٦٠٦)، وصَحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٨٠٧). وقوله: «**من أَخْمصه إلىٰ مُشَاشه**»، يعني: من قَرْنه إلىٰ قدمه، وهي في الأصل: رؤوس العظام؛ كالمرفقين والكتفين والركبتين.

الجنَّةَ في ذبابٍ، ودَخَل رجلٌ النَّارَ في ذبابٍ»[1]، إِنْ صحَّ فهو دليلٌ علىٰ التَّفريق بين القَوْل والفعل؛ إذ إنَّ الآخرَ الَّذي قَرَّب ذبابًا يحتمل أَنْ يكون مُكْرهًا، ويحتمل أَنْ يعتقدَ جَوَاز ذلك، فإِنْ كان يَعْتقد جواز ذلك؛ فإنَّه دَخَل النَّارَ بسبب اعتقادِهِ، وإِنْ كان مُكْرهًا؛ فإنَّه يكون كلُّ ما قَدَّمه المسلمُ لغير الله عَزَّوَجَلَّ وإِنْ كان صغيرًا أو قليلًا؛ كالذُّباب، أو كان كثيرًا أو كبيرًا، كالجَمَل؛ فإنَّه يُعتبَر بذلك قَدْ خَرَج من الإسلام، واستحقَّ النَّارَ؛ لأنَّ الإكراهَ يَكُونُ بالقَوْل دون الفعل، وبالله التَّوفيق.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نَبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٥، ١٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٤٨٥) (٧٣٤٣) موقوفًا علىٰ سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الضعيفة» (٥٨٢٩).

التوحيد ثلاثة أنواع

❐ **الأوَّل: توحيدُ الرُّبُوبيَّة:** وهو الَّذي أقرَّ به الكُفَّار علىٰ زَمَن رَسُول الله ﷺ، وقَاتَلهم رَسُولُ اللهِ ﷺ، ولَمْ يُدْخلهم في الإسلام، واستحلَّ دِمَاءَهُمْ وأَمْوالَهم، وهو تَوْحيدُ اللهِ بفعلِهِ تَعالَىٰ، والدَّليلُ قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:٣١]، والآياتُ علىٰ هذا كثيرةٌ جدًّا.

❐ **الثَّاني: توحيد الأُلُوهيَّة:** وهو الَّذي وَقَع فيه النِّزاع من قَدِيمِ الدَّهْر وحديثِهِ، وَهُو توحيدُ اللهِ بأَفْعالِ العبادِ، كالدُّعاءِ، والنَّذْرِ، والنَّحْرِ، والرَّجاءِ، والخوفِ، والتَّوكُّلِ، والرَّغبةِ، والرَّهبةِ، والإنابةِ، وكلُّ نَوْعٍ من هذه الأنواعِ عَلَيه دليلٌ من القرآن.

❐ **الثَّالث: توحيدُ الذَّات، والأسماءِ، والصِّفات،** قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤]، وَقَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

[الأعراف:١٨٠]، وَقَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١].

الشرح

□ **الأوَّل: توحيد الرُّبوبية:** وهو الَّذي أقرَّ به الكُفَّار في زَمَن الرَّسول ﷺ، وَقَاتلهم رَسُولُ الله ﷺ، واستحلَّ دِمَاءَهمْ، ولم يُدْخلهم ذلك في الإسلام، وهُوَ تَوْحيد الله بفعلِهِ بأَنْ يَعْتقدَ أنَّ الله هو الخالقُ، المالكُ لكلِّ شيءٍ، المُدبِّر لجميع الأُمُور.

وهو الرَّازقُ، وهو المحيي، وهو المميتُ، وقَدْ كان الكُفَّار يَعْتقدون هَذَا، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١]، والآياتُ عَلَىٰ هَذَا كثيرةٌ جدًّا.

وهُنَاك أناسٌ في هَذَا الزَّمن يُفسِّرون توحيدَ الأُلُوهيَّة بتَوْحيد الرُّبُوبيَّة، ويَزْعُمُونَ أنَّ مَنْ أقرَّ بتوحيد الرُّبُوبيَّة فإنَّه يُعتبَر مُوحِّدًا، وهَذَا جهلٌ عظيمٌ، بَلْ تجد من المؤلِّفين والكُتَّاب مَنْ يَعْتقد ذَلكَ؛ كَسيِّد قطب[1]؛ فإنَّه يُفسِّر تَوْحيدَ

---

(١) فمن الخطإ ما فَسَّر به سيد قطب قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [القصص:٧٠]. فقال: «أي: فلا شريك له في الخلق والاختيار». «في ظلال القرآن» (٥/ ٢٧٠٧).
والخلق والاختيار من أفعال الله، ومن معاني ربوبيته التي اعترف بها المشركون كما تقدم.
راجع رسالة: «شهادة الإسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله» للشيخ الفاضل: محمد جميل زينو رَحِمَهُ اللَّهُ، ففيها مزيد تفصيل، وجميل بيان.

الأُلُوهيَّة بتَوْحيد الرُّبوبيَّة.

إذًا؛ نَقُول: إنَّ مَنْ أقرَّ بتوحيد الرُّبُوبيَّة، فإنَّ إِقْرَارَهُ بذَلكَ لا يُدْخله الإسلام، وَلَا يوجب له الجنَّةَ، ولا يُحْرِزُ دَمَه ولا مَالَهُ، وهذا؛ يعني: أنَّ إحرازَ المال وإحرازَ الدَّم لا يكون إلَّا بتَوْحيد الأُلُوهيَّة علىٰ مُقْتَضىٰ شَهَادة أَنْ «لا إله إلَّا الله»، بأَنْ يَقُولَها معتقدًا مَعْنَاها، عاملًا بمُقْتَضاها.

أمَّا إِنْ قالَ: أنا أعلمُ أنَّ اللهَ ربِّي، وأنَّه هو الَّذي خَلَق السَّماوات والأرضَ، وأنَّه هو الَّذي يُحْيي ويُمِيتُ، وأنَّه هو الَّذي يُنْزل المطرَ، ويَرْزقُ عِبادَهُ.

فإنَّ ذَلكَ كلَّه لا يُحْرز دَمَه، ولا مَالَهُ، وإنَّما يُحْرز ويَعْصم دَمَه ومَالَه بتَوْحيد الأُلُوهيَّة، وإخلاص الدِّين لله وَحْدَه.

❐ **الثَّاني: توحيد الأُلُوهيَّة:** وهُوَ الَّذي وَقَع فيه النِّزاعُ في قديم الدَّهر وحديثِهِ بين الأُمَم ورُسُلهمْ عَلَيهم الصَّلاة والسَّلام، أَوْ بَيْنَ الأُمَم وأتباع الرُّسُل، وهو تَوْحيد الله بأَفْعَال العباد؛ كالدُّعاء، والنَّذر، والذَّبح، والرَّجاء، والخَوْف، والخَشْية، والتَّوكُّل، والرَّغبة، والرَّهبة، والإنابة، وكلُّ نوعٍ مِنْ هذِهِ الأنواع عَلَيه دليلٌ من القرآن.

❐ **إذًا، ما الفرق بين توحيد الأُلُوهيَّة وتوحيد الرُّبُوبيَّة؟**

الفرق بينهما كالتَّالي، ويتَّضح من تعريف كلٍّ منهما:

توحيد الرُّبُوبيَّة: هُوَ إِفْرَادُ الله بأفعالِهِ، من الخَلْق، والرِّزْق، والإحياء، والإماتة، وما أَشْبَه ذَلكَ.

وتوحيد الأُلُوهيَّة: هُوَ تَوْحيدُ الله بأَفْعَال العباد، فأنتَ تَصْرفُ له دُعَاءكَ، ورَجَاءكَ، وخَوْفَك، وخَشْيَتكَ، وذَبْحكَ، ونَحْركَ، وَتَوكُّلكَ، ورَغْبتكَ، ورَهْبتكَ، وإِنَابتَكَ، إِنْ دَعَوْتَ تَدْعو اللهَ وَحْدَه دون سواه، وإِنْ نَذَرْتَ تنذرُ لله وَحْده دون سواه، وإِنْ ذَبَحْتَ أو نَحَرْتَ تَذْبح وتنحر لله وَحْده دون سواه، وإِنْ رجوتَ فتَرْجوه هو وَحْدَه، والخوفُ الَّذي هو خَوْف العبادة تُفْرِدُ اللهَ به دون سواه، وهَكَذا.

وهذه بعض الأدلَّة من القرآن على هذه الأنواع من العبادات:

ما دليل الدُّعاء؟

قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

ما الدَّليل على النَّذْر؟

قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧].

ما الدَّليل على الذَّبْح والنَّحْر؟

قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

ومِنَ السُّنَّة: «**لَعَن الله مَنْ ذَبَح لغير الله**»(١). [رَوَاه مسلمٌ].

❐ (**ما الدَّليل على الخوف؟**

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]).

❐ ما الدَّليل على الرَّجاء؟

قوله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

❐ ما الدَّليل على التَّوكُّل؟

قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

❐ ما الدَّليل على الرَّهْبة؟

قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠].

❐ ما الدَّليل على الإنابة؟

قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤].

❐ ما الدَّليل على الرَّغبة؟ والرَّهبة والخشوع ؟

قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠][1].

❐ الثَّالث: توحيد الأسماء والصِّفات:

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ

(١) راجع رسالة «الأصول الثلاثة»، و«كتاب التوحيد» للشيخ رحمه الله لمزيد من التفصيل في (أنواع العبادة).

وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:١-٤].

وقولُهُ ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقولُهُ جلَّ وعَزَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ:١١].

وأقول: يجبُ عَلَىٰ المُكلَّفين إثباتُ أَسْمَاء الله وصفاتِهِ الَّتي وَرَدتْ في القرآن عَلَىٰ الوَجْه اللَّائق بجَلَال الله ﷻ.

□ وهذه الصِّفات تنقسم إلى ثلاثة أقسامٍ:

١- صفاتٍ ذاتيَّةٍ بحتةٍ(١).

---

(١) البحتة؛ تعني في اللغة: الصِّرفة الخالصة التي ليس معها غيرها، فهي ذاتيةٌ فقط؛ أي: متعلقة بخصائص الذات الإلهية المقدسة، ولا تعلق لها بالأفعال.

فكما أن ذات الخالق ﷻ لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذلك صفات الرب ﷻ ليست كصفات المخلوقين... فلا يحيطون به علمًا، ولم يكن له كفوًا أحد، وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

وإليك -أخي في الله- هذه الفائدة: جاء في كتاب «الفوائد» لابن القيم رحمه الله أن العبد إذا شاهد شيئًا من جمال أفعال الرب وجلالها وكمالها وعظمتها، استدل به علىٰ جمال الصفات وكمالها وعلوها، ثم استدل بجمال الصفات علىٰ جمال الذات وعلوها.

فله سبحانه علو الذات، وعلو القدر والشأن، وعلو القهر، فهو القاهر فوق عباده، وهو العلي العظيم، والكبير المتعال ﷻ.

وجمال الرب سبحانه علىٰ أربع مراتب:

جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء.

=

٢- صفاتٍ فعليَّةٍ.

٣- صفاتٍ ذاتيَّةٍ فعليَّةٍ.

❐ **فالصِّفات الذَّاتيَّة البحتة:** كالسَّمع، والبَصَر، والعَيْنين، واليَدَين، والكَفَّين، والأَصَابع، والوَجْه، والرِّجل، والقَدَم، والسَّاق، وهذِهِ صفاتٌ ذاتيَّةٌ.

❐ **والصِّفات الفعليَّة:** كالخَلْق صفة للخالق، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:١٧].

وَكَصفة المَجِيءِ يَوْمَ القِيَامَة، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢].

=

فأسماؤه كلها حسنىٰ، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمةٌ، ومصلحةٌ، وعدلٌ، ورحمةٌ.

وأما جمال الذات وما هو عليه، فأمر لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره، وليس عند المخلوقين عنه إلا تعريفات تَعَرَّف بها إليهم فيما أوحاه الله علىٰ رسله عليهم الصَّلاة والسَّلام، أو أنزله في كتبه المطهرة.

وسوف يَمُنُّ الله بإذنه ﷻ علىٰ أهل التوحيد والإيمان في الجنة بزيادة اللذة والنعيم فيها بأن يحلَّ عليهم رضوانه، ويكرمهم فوق ما هم فيه من الكرامة والرضوان بلذة النظر إلىٰ وجهه الكريم، والشوق إلىٰ لقائه، والتنعم بذلك -بإذن الله- في الجنة الحسنىٰ، فَيَنْسَون معه كل لذة ونعيم رأوه أو سمعوه في الجنة قبل ذلك، ويزدادون حسنًا وجمالًا مع مرور الأزمان في دار الجمال والكرامة والإحسان بجوار الرب المحسن الجميل الرحيم الرحمن.

فنسأل الله الحي القيوم ذا الجلال والإكرام بأنه اللطيف المنان، والوهاب التواب أن يتوب علينا وعليكم، وأن يمنَّ علينا وعليكم لنكون من عباد الله المؤمنين الموحدين الذين لهم الحسنىٰ وزيادة. آمين.

وَصِفَة الإتيان؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠].

صفة الرِّزْق؛ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سبأ:٢٤].

صفة النُّزُول في قولِهِ ﷺ، عن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**يَنْزل ربُّنا كلَّ ليلةٍ عند الثُّلُث الأخير** –أو: الأوسط– **إلىٰ السَّماء الدُّنيا...**»[1] الحديث.

صفة الاستواء في قَوْل الله تَعَالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤].

وهناك صفاتٌ فعليَّةٌ ذاتيَّةٌ: كصِفَةِ الكَلَام، فهي ذَاتيَّةٌ باعتبار أنَّها من صِفَاتِ الذَّات، وهِيَ فعليَّةٌ باعتبار أنَّه يَفْعلُهَا متىٰ شاء، ولهَذَا يَقُول أَهْلُ العلم: إنَّ الكَلَامَ قديمُ النَّوع، حَادثُ الآحاد.

قولهم: إنَّ الكَلَامَ قديمُ النَّوع، حَادثُ الآحَاد؛ يَعْني: أنَّ اللهَ موصوفٌ بأنَّه مُتكلِّمٌ، وذلك بأنَّه يَتكلَّم متىٰ شَاءَ بما شَاءَ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

ضد التوحيد الشرك

❐ **وَهُوَ ثلاثةُ أَنْواعٍ: شركٌ أكبر، وشركٌ أصغر، وشركٌ خفيٌّ.**

❐ **النَّوْع الأَوَّل من أنواعِ الشِّرْك: الشِّرْك الاكبر**، لا يغفرُهُ اللهُ، ولا يَقْبل مَعَه عملًا صالحًا، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾[النساء:١١٦].

وَقَالَ سُبْحَانه: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣].

وَقَالَ سُبْحَانه: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥].

وَقَالَ سُبْحَانه: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[الأنعام:٨٨].

❐ **والشِّرْك الأكبر أربعةُ أنواعٍ:**

❐ **الأوَّل: شِرْك الدَّعْوة:** والدَّليلُ قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت:٦٥].

❐ **الثَّاني: شِرْك النِّيَّة، والإرادة، والقصد:** والدَّليلُ قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود:١٥، ١٦].

❐ **الثَّالث: شِرْك الطَّاعة:** والدَّليلُ قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة:٣١]، وتَفْسيرُهَا الَّذي لا إِشْكالَ فيه: طَاعَةُ العُلَماء والعباد في المَعْصية، لا دُعَاؤهم إيَّاهُمْ، كما فَسَّرها النَّبيُّ ﷺ لعديِّ بن حاتمٍ لمَّا سَألَه، فَقَال: لَسْنَا نَعْبدُهُمْ! فَذَكَر له أنَّ عِبَادَتهمْ: طَاعَتهم في المَعْصية.

❐ **الرَّابع: شرك المحبَّة:** والدَّليلُ قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

❐ **النَّوْع الثَّاني من أنواعِ الشِّرْك: شركٌ أصغر،** وهو الرِّياء، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

❐ **النَّوْع الثَّالث من أَنْواعِ الشِّرْك: شركٌ خفيٌّ**، والدَّليلُ قولُهُ ﷺ: «**الشِّرْك في هذِهِ الأُمَّةِ أَخْفَىٰ من دبيبِ النَّمْلة السَّوْداء علىٰ صَفَاة سوداء في ظُلْمة اللَّيْل**»، وكَفَّارتُهُ قولُهُ ﷺ: «**اللَّهمَّ إنِّي أَعُوذُ بك أن أُشْرِكَ بك شيئًا وأنا أَعْلَم، وأَسْتَغفركَ من الذَّنْبِ الَّذي لا أَعْلَمُ**».

الشرح

❐ **قول المُصنِّف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضدُّ التَّوحيد الشِّرْك»، وهُوَ ثَلَاثةُ أنواعٍ:

١- شركٌ أكبر.

٢- شركٌ أصغر.

٣- شركٌ خفيٌّ.

❐ **فالشِّرك الأكبر:** لا يغفرُهُ اللهُ، ولا يَقْبل معه عملًا صالحًا.

والدَّليل قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:١١٦].

وَقَالَ سُبْحَانه: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

وقولُهُ: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

وقولُهُ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥].

ولمَّا ذَكَر اللهُ الأنبياءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في سُورَة الأنعام قَالَ في آخر ذَلكَ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

أقول: الشِّركُ يَهْدم الإسلامَ، ويُحْبط العملَ، وصاحبُهُ لا تُقبَل منه حَسَنةٌ، ولا تُغفَر له سَيِّئةٌ، ولا يَطْمَع في النَّجاة من النَّار، بَلْ هو خالدٌ فيها، مُخلَّدٌ، وهو ما تُسجِّله هذِهِ الآياتُ ونَظَائرها، ولهَذَا يَقُولُ الله ﷻ عَنْ عيسىٰ عليه السلام أنَّه قَالَ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة:٧٢].

وأَخْبَر أنَّ عَمَلَهمْ يذهب هباءً منثورًا في قولِهِ: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

وَقَال سُبْحَانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ [إبراهيم:١٨].

ويَشْهد بتَخْليد المُشْركينَ شركًا أَكْبَر في النَّار قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٣].

وَقَالَ جلَّ من قائل: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، فنَفْيُ الفَلَاح عنهم دليلٌ علىٰ شَقَاوتهم الأبديَّة.

ثمَّ قَسَّم الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ النَّوعَ الأوَّلَ من الشِّرك (وَهُوَ: الشِّركُ الأكبرُ) إلىٰ أَرْبَعة أقسامٍ:

١- شرك الدَّعوة.

٢- شرك النِّيَّة والإِرَادَة والقَصْد.

٣- شرك الطَّاعة.

٤- شرك المَحبَّة.

فشِرْكُ الدَّعوة: دليلُهُ: قَوْل الله تَعَالىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

فشِرْكُ الدَّعوة يَدْخُلُ فيه الشِّركُ في دُعَاء العبادة، والشِّرك في دُعَاء المسألة والطَّلب.

❐ **وشِرْكُ النِّيَّة والإرادة والقصد:** دليلُهُ: قَوْل الله تَعَالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود:١٥، ١٦].

❐ **وشِرْكُ الطَّاعة:** دليلُهُ: قَوْل الله تَعَالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، وهُوَ طَاعَة العُلَماء والعُبَّاد بدون دليلٍ، أي: طَاعَتهمْ في مَعْصية الله.

❐ **وشِرْك المَحبَّة:** دليلُهُ: قَوْل الله تَعَالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [البقرة:١٦٥].

والمُؤلِّف -يَرْحمُهُ الله- هنا قَسَّم الشِّركَ إلىٰ ثَلَاثة أنواعٍ، والأقربُ -واللهُ أَعْلَم- أنَّ الشِّركَ يَنقسم إلىٰ نَوْعين:

- نوع يُخَلِّد في النَّار، ويُحبط العَمَلَ.

- ونوع لا يَكُونُ كَذَلك.

وحينئذٍ نَقُول: شركٌ أكبرُ، وشركٌ أصغرُ، (وهذا يَشْمل ما كان ظاهرًا جليًّا، وما كان خفيًّا).

❐ **فأمَّا الشِّرك الخفيُّ، فينقسم إلى قسمين:**

❐ **الأوَّل: رياء يُعتبَر شركًا أكبر:** وهو الَّذي يَكُونُ حافزًا علىٰ العَمَل، فإذا انْعَدَم لا يَعْمل صاحبُهُ، وهو رياءُ المُنَافقين، ولهَذَا لَمْ يكونوا يَحْرصون علىٰ حُضُور العشاءِ والفَجْر.

قَالَ ﷺ: «**أَثْقَلُ الصَّلاة علىٰ المُنَافقين العشاءُ والفجر**»[1]؛ لأنَّه لَمْ يوجد أنوارٌ في ذَلكَ الوَقْت فيَنْفَضحُونَ؛ كَمَا قَالَ الله تَعَالىٰ فيهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:١٤٢].

❐ **الثَّاني: الرياء العارض للعمل:** كأَنْ يكونَ الإنسانُ يَعْمل عملًا خيريًّا، ولكن يُحَسِّنه من أَجْل أن يُمدَح عَلَيه، فهذا يَكُونُ عارضًا علىٰ العَمَل، فهَذَا لا يخرج من الإِسْلَام، ولكن قَدْ يصلُ بالإنسان إلىٰ أنَّه يُحْبط ثَوابَه، لكن إذا كَافَحَه صاحبُهُ ودَعَا بالأدعية الواردة، نَرْجو أن يَنْجوَ منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧).

والنَّبيُّ ﷺ علَّم أصحابَهُ أن يقولَ أحدهم إذا وَجَد شيئًا من ذَلكَ: «**اللَّهمَّ إنِّي أعوذ بك أَنْ أشركَ بك وأنا أَعْلَمُ، وأَسْتَغفرك لِمَا لا أَعْلَمُ**[١]؛ **(إنَّك تَعْلم ولا أعلم، وأنتَ عَلَّام الغُيُوب)**»[٢].

«**اللَّهمَّ أَلْهمني رُشْدي وأَعِذْنِي من شرِّ نفسي**»[٣].

«**اللَّهمَّ فاطر السَّماوات والأرض، ربَّ كلِّ شيءٍ ومَليكه، أَشْهَد أَنْ لا إله إلَّا أنتَ، أَعُوذُ بك من شرِّ نَفْسي ومن شرِّ الشَّيْطان وشركه**»[٤].

فإذا قُلْنا: إنَّ الشِّركَ يَنْقسم إلىٰ قِسْمَيْنِ: أكبر وأصغر، دَخَل الشِّركُ الخفيُّ كيسير الرِّياء في القسمين كما تَقدَّم، ودَخَل في القسم الثَّاني وهو الشِّركُ الأصغرُ: الحلفُ بغَيْر الله، وشرك الإِسْنَاد، والتَّشريك بالمشيئة، مثل: «ما شَاءَ اللهُ، وشَاءَ فلانٌ».

❐ **ومعنى شرك الإسناد:** أَنْ تسندَ النِّعم إلىٰ غَيْر واهبها ومُسْديها، مثالُهُ ما يُقَال: «النَّجْمُ الفلانيُّ جَادَ»، «الخريف جَادَ»، والجودُ لا يكون إلَّا من الله.

وكَذَلك من الشِّرك الأصغر قَوْل: «لولا فلان أو لَوْلا الشَّيء الفلاني

---

(١) أخرجه أحمد بنحوه (٤/ ١٢٣) (١٧١٥٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٦) من حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: في «صحيح الأدب المفرد» (٢٦٦).

(٢) جاءت هذه الجملة في حديث الاستخارة الذي أخرجه البخاري (١٠٩٦)، من حديث جابر ابن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٩٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

لحَصَل كذا، أو لَمَا حَصَل كَذَا»، والحقُّ أن يقول العبدُ المسلمُ: (لولا الله وَحْده)، وهُوَ الأفضلُ، ويَجُوزُ له أن يقولَ: (لولا الله، ثمَّ فلان)[1].

(١) راجع كتاب «التوحيد» الذي هو حق الله علىٰ العبيد، للشيخ المجدد محمد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ ، فهو من أفضل ما صُنِّف في بيان توحيد العبادة، وما يحمي جنابه، ويُدَافع عن حماه.

الكفر كفران[١]

❐ **النَّوْع الأوَّل:**

كفرٌ يُخْرج من المِلَّةِ: وهو خمسةُ أنواعٍ:

النَّوْع الأوَّل: كفرُ التَّكْذِيبِ: والدَّليلُ قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾[العنكبوت:٦٨].

❐ **النَّوْع الثَّاني: كُفْر الإبَاءِ وَالاسْتِكْبارِ مع التَّصْديقِ،** والدَّليلُ قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[البقرة:٣٤].

❐ **النَّوْع الثَّالث: كُفْر الشَّكِّ، وهو كُفْر الظَّنِّ،** والدَّليلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ

(١) لمزيد من الفائدة راجع كتاب «التوحيد» للفوزان (ص١٥)، لمعرفة ملخص الفروق بين الكفر الأكبر والأصغر.

يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾[الكهف:٣٥-٣٨].

❐ **النَّوْع الرَّابع: كُفْر الإعراضِ**، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾[الأحقاف:٣].

❐ **النَّوْع الخامس: كُفْر النِّفَاقِ**، والدَّليل قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾[المنافقون:٣].

❐ **النَّوْع الثَّاني من نَوْعَي الكُفْر: وهو كفرٌ أصغر لا يُخْرج من المِلَّة، وهو كُفْر النِّعْمة**، والدَّليلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[النحل:١١٢].

الشرح

❐ **الكفر في اللُّغة:** التَّغطيةُ والسَّترُ، والكُفْرُ شرعًا: ضدُّ الإيمان -فإنَّ الكُفْرَ عَدَم الإيمان بالله ورسولِهِ- سواء كَانَ معه تكذيبٌ، أَوْ لَمْ يكنْ معه تكذيبٌ، بل شكٌّ وريبٌ، أو إعراضٌ، أو حسدٌ، أو كبرٌ، أو اتِّباعٌ لبَعْض الأَهْوَاء الصَّادَّة عن اتِّباع الرِّسالة.

وإِنْ كان المُكذِّبُ أعظم كفرًا، وكَذَلك الجاحد المُكذِّب حَسَدًا مع

استيقان صِدْقِ الرُّسُل عَلَيهم الصَّلاة والسَّلام[١]، والكُفْرُ يَنْقسم إلىٰ قِسْمَين:

❐ **الأوَّل: كفرٌ يخرج من المِلَّة:**

وهُوَ (أي: الكفر الأكبر) خمسةُ أَنْوَاعٍ:

❐ **النَّوع الأوَّل: كُفْر التَّكذيب:** والدَّليل قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت:٦٨].

أقول: التَّكذيبُ بالأدلَّة القاطعة من كِتَابِ الله عَزَّوَجَلَّ، ومن سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ الثَّابتة، هَذَا هو كُفْرُ التَّكْذيب المُخْرج من المِلَّةِ، والمُوجِب للخُلُود في النَّار، والموجب لحُبُوط العَمَل؛ لأنَّه يُعَدُّ ارتدادًا، والارتدادُ يُعْتبَر موجبًا لحُبُوط العَمَل، والخُلُود في النَّار، والعياذُ بالله؛ ككفر أَعْدَاء الرُّسُل الَّذين كَذَّبوا رُسُلَ الله عليهم السلام حين جَاؤُوهمْ بالبَيِّنات، ومنهم كُفَّار قريش حين كَذَّبوا برَسُولنا مُحمَّدٍ ﷺ.

❐ **النَّوع الثَّاني: كفر الإباء والاستكبار مع التَّصديق:** استدلَّ عَلَىٰ ذَلكَ بكفر إبليس الَّذي اسْتكْبر وأبىٰ أن يَسْجدَ، كما قَالَ سُبْحَانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

ويُمثَّل له بقولِهِ تَعَالىٰ في سورة النَّمْل عن فِرْعَون وقومِهِ: ﴿وَجَحَدُوا۟

(١) انظر «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢/ ٣٣٥).

بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل:١٤].

فأَخْبَر اللهُ عن فِرْعَون وقومِهِ أنَّ أنفسهم اسْتَيقنَتْ صِدْقَ موسىٰ عليه السلام لِمَا مَعَه من الآيات الدَّالَّة علىٰ صِدْقِهِ.

❐ **النَّوع الثَّالث: كُفْر الشَّكِّ، وهو كُفْر الظَّنِّ:** وأَقُولُ: لا يَنْبغي التَّعبيرُ بالظَّنِّ؛ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى قَالَ عَنْ قَوْمٍ من المُؤْمنينَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة:٤٦].

إذ إنَّ الظَّنَّ هو الاحتمالُ الرَّاجحُ، والشَّكُّ مستوي الطَّرفين، فلا يُعبَّر بالظَّنِّ كتفسيرٍ للشَّكِّ، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٣٥-٣٨].

فالتَّعبيرُ بالظَّنِّ في هَاتَين الآيتين المُرَاد به الشَّكُّ، وهَذَا ظنُّه عَدَم قيام السَّاعة، أي أنَّ الاحتمالَ الرَّاجحَ عنده هُوَ عَدَم قِيَامِ السَّاعة، وعَدَم وُجُودِهِ لخيرٍ من جَنَّته تلك.

❐ **النَّوع الرَّابع: كُفْر الإعراض:** والدَّليلُ قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف:٣].

وأقول: الإعراض ينقسم إلى قسمين:

١- إعراضٌ كُلِّيٌّ.

٢- إعراضٌ جزئيٌّ.

فالإعراضُ الكليُّ: هو الموجبُ للكفر.

أمَّا الإعراضُ الجزئيُّ: فهو مُحرَّمٌ أيضًا، ولكن قَدْ يصلُ بصاحبِهِ إلىٰ الكُفْر، وقَدْ لا يصلُ بِهِ.

❐ **النَّوْع الخامس: كُفْر النِّفاق:** والدَّليل قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٣].

والنِّفاق: هو إظهارُ الإِسْلَام، وإِبْطَانُ الكُفْر، فمَنْ أظهرَ الإسلامَ وأَبْطنَ الكُفْرَ، فذلك هو المنافقُ نفاقًا اعتقاديًّا، وهو مستحقٌّ للعَذَاب والخُلُود في النَّار، نَعُوذُ بالله من ذلك، بل المُنَافقونَ مُتوعَّدون بالدَّرك الأسفل من النَّار، ونَسْأَلُ اللهَ العفوَ والعافيةَ.

الثَّاني: وهو كُفْرٌ أصغر لا يُخْرج من المِلَّة: وهو الكُفْر العمليُّ، وهو الذُّنُوب الَّتي وَرَدتْ تَسْميتُهَا في الكتاب والسُّنَّة كفرًا، وهي لا تصلُ إلىٰ حَدِّ الكُفْر الأكبر، مثل: كُفْر النِّعْمة، وقِتَال المسلم، والحَلف بغَيْر الله.

فَمِمَّا وَرَد في القرآن كُفْر النِّعمة؛ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢].

وأقول: الكفرُ الأصغرُ وَرَدَ في السُّنَّة كَذَلك[١]، ومن ذَلكَ قَوْل النَّبيِّ ﷺ: «**سِبَابُ المسلمِ فسوقٌ، وقِتالُهُ كفرٌ**»[٢].

والمُرَاد بالكفر هنا: كُفْر نعمة الأُخَوَّة الإيمانيَّة، فإذا تَقَاتل المؤمنون الَّذين أَنْعَم اللهُ عَلَيهم برابطة الإيمان؛ فإنَّهم يُعتبَرون قَدْ كَفَروا بهذِهِ الرَّابطة، بمعنىٰ أنَّهم جَحَدوا، ولهذا، فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ سَمَّاهم إخوةً رغم التَّقاتل، فَقَال تَعَالىٰ في سورة الحُجُرات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠] بَعْد أَنْ ذَكرَ الطَّائفتين؛ الباغية والمبغي عَلَيها في قولِهِ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾، إلىٰ أن قَالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:٩، ١٠].

فأثبت لهم أُخوَّة الإيمان مَعَ وُجُود التَّقاتل بينهم.

وَقَالَ أيضًا في سورة البقرة فيما إذا عُفِيَ عن القاتل من القصاص وقُبِلَت الدِّيَة، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة:١٧٨].

وقَدْ غلطت الخوارجُ في هذا الباب، فكفَّرَت بالذُّنُوب الكَبَائر، وما ذلكَ إلَّا لجَهْلهم وإعْرَاضهم عن سُنَّة رَسُول الله ﷺ، وتَكْفيرهم للصَّحَابة، وعَدَم أَخْذهم عنهم، فوَقَعوا -والعياذ بالله- في البدعة الشَّنيعة، وهي تَكْفير المُسْلمينَ، واسْتِحْلَال دِمَاءِ المَعْصومين، واستحلال أَخْذ أَمْوَالهم، وما

---

(١) أي: بلفظ الكفر.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَترتَّب علىٰ ذَلكَ من إفسادٍ عظيمٍ.

فالتَّفريقُ بين الكُفْر المُخْرج من المِلَّة، والكُفْر غير المُخْرج من المِلَّة أمرٌ له خطورتُهُ، كالحُكْم بغير ما أنزل الله؛ إذ إنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «ليس الكفرُ الَّذي تَذْهبون إليه، إنَّه ليس كفرًا ينقلُ عن المِلَّة، وهو كفرٌ دون كفرٍ»(١).

وكَذَلك قولُ النَّبيِّ ﷺ: «**اثْنتَان في النَّاس هُمَا بهم كفرٌ: الطَّعنُ في النَّسَب، والنِّياحةُ علىٰ المَيِّت**»(٢).

ومِمَّا يَنْبغي أن يُعْلم أنَّ الاستحلالَ العمليَّ لا يوجب الكفرَ، وإنَّما يوجب الكفرَ الاستحلالُ الاعتقاديُّ.

فمثلًا: مَنْ رأيناه عمل الرِّبا، أو الزِّنىٰ، أو شَرِب الخمرَ مرةً بعد مرةٍ، لا يَجُوز أن نُطْلقَ عليه الكفرَ، ونجعلَهُ من الكافرين كفرًا مُخْرجًا من المِلَّةِ.

ففي «صحيح البخاريِّ» عَنْ عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ رجلًا علىٰ عَهْد النَّبيِّ ﷺ كان اسمُهُ عبد الله، وكان يُلقَّب حمارًا، وكان يُضْحك رَسُولَ الله ﷺ، وكان النَّبيُّ ﷺ قَدْ جَلَده في الشَّراب.

فأُتِيَ به يومًا، فأَمَر به، فجُلِدَ، فقال رجلٌ من القوم: اللَّهمَّ الْعَنه، ما أكثرَ ما

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٣)، وقال: صحيح الإسناد، وأَقرَّه الذهبيُّ، وأخرجه ابْنُ جرير في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٦) بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (٦٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يُؤتَىٰ به! فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تَلْعنوه، فوالله ما علمتُهُ إلَّا أنَّه يحبُّ اللهَ ورَسُولَهُ**»(١).

وفي روايةٍ: «فلمَّا انْصرَفَ، قال رجلٌ: ما له أَخْزَاه الله، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا تَكُونُوا عونًا للشَّيْطان علىٰ أخيكم**»(٢).

فكَوْنُ الإنسانِ يَنْساق بالشَّهْوة أو الطَّمع أَوْ غَيْر ذلك من الأَسْبَاب الَّتي يَقَع النَّاسُ بسببها في كبائر الذُّنُوب، هذا لا يُوجِبُ كفرًا حتَّىٰ وإِنْ وَقَع في الذَّنْب عِدَّة مَرَّاتٍ إلَّا أن يَصْحبَ ذَلكَ الفعلَ تكذيبٌ بتَحْريم ذلك الشَّيء الَّذي وَقَع فيه، واستحلالٌ له، مع أنَّ ذلك الشَّيء من الأُمُور المَعْلومة من الدِّين بالضَّرورة، فهَذَا يكفر؛ أمَّا بدون الاستحلال فإنَّه لا يكفر.

والمُهِمُّ: أنَّ كفرَ النِّعمة لا يوجب الخُرُوجَ من الإسلام القوليِّ، ولا يوجب الخُلُودَ في النَّار، ولا يوجب حُبُوطَ العمل، ولا يوجب إِطْلاقَ الكفر علىٰ ذَلكَ الشَّخص إلَّا إذا صَحِبَهُ الاستحلالُ لمُحَرَّمٍ مُجْمَع عليه، أو التَّحريم لحلالٍ مُجْمَع عليه.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨١).

النفاق

❐ **نَوْعانِ: اعتقاديٌّ وعمليٌّ:**

❐ **النِّفاقُ الاعْتِقاديُّ: سِتَّة أَنْواعٍ، صاحبها من أهل الدَّرَك الأسفلِ من النَّار:**

❐ **الأوَّل:** تكذيبُ الرَّسُولِ ﷺ.

❐ **الثَّاني:** تكذيبُ بعض ما جاء به الرَّسُولُ ﷺ.

❐ **الثَّالث:** بُغْض الرَّسُول ﷺ.

❐ **الرَّابع:** بُغْض بَعْض ما جاء به الرَّسُول ﷺ.

❐ **الخامس:** المَسرَّة بانخفاضِ دينِ الرَّسُولِ ﷺ.

❐ **السَّادس:** الكراهية بانتصارِ دينِ الرَّسُولِ ﷺ.

❐ **النِّفاقُ العمليُّ: خمسةُ أنواعٍ:** والدَّليلُ قولُهُ ﷺ: «**آيةُ المُنَافق ثلاثٌ: إذا حَدَّث كذبَ، وإذا وَعَد أخلفَ، وإذا اؤتُمِنَ خانَ**»، وفي روايةٍ: «**إذا خَاصَمَ فَجَرَ، وإذا عَاهَد غَدَر**».

الشرح

❐ **نوعان:** اعتقاديٌّ وعمليٌّ.

قوله: «اعتقاديٌّ وعمليٌّ»، موقعُهُ من الإعراب: أنَّه بَدَلٌ من كلمة (نوعان).

ويصحُّ أن نقولَ: نفاقٌ اعتقاديٌّ، ونفاقٌ عمليٌّ.

❐ **النِّفاق الاعتقاديُّ:** صاحبُهُ من أَهْل الدَّرْك الأسفل من النَّار، نَعُوذُ بالله من ذلك.

❐ **تعريف النِّفاق الاعتقاديِّ:** هو التَّكذيبُ في الباطن، والإيمانُ في الظَّاهر، وقَدْ ذَكَرَ الله ﷻ النِّفاقَ الاعتقاديَّ، وبَيَّن صفات أَهْلِهِ في سورة البقرة بَدءًا من قولِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ إلىٰ قولِهِ تَعالىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٨-٢٠].

وبيَّن صِفَاتِ المُنَافقين في سورة «براءة» بيانًا عظيمًا، فَمَا زالَ يَقُول: ومِنْهم، ومِنْهم، ومِنْهم...، كقولِهِ ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٤٩].

وقولِهِ ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨].

وقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة:٧٥-٧٧].

وفي خلال ذَلكَ بيَّن اللهُ عَزَّوَجَلَّ كثيرًا من صِفَاتِهِمْ إلىٰ أَنْ قَالَ: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة:٨٦].

إلىٰ أَنْ قَالَ سُبْحَانه: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة:٩٤].

إلىٰ أَنْ قَالَ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة:١٢٧].

وفي خلال ذَلكَ بيَّنَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الشَّيءَ الكثيرَ من أَعْمَالِهِمْ، وفي سُورَة الأحزاب ذَكَرهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وبيَّن بَعْض صِفَاتِهِمْ، وفي سُورَة المُنَافقون كَذَلكَ.

❐ **وتعريف النِّفاق الاعتقاديِّ:** كما سبق: إظهارُ الإِسْلَام، وإبطانُ الكُفْر، بأَنْ يزعمَ المنافقُ بأنَّه يحبُّ اللهَ ورسولَهُ، وأنَّه مؤمنٌ، وهو بخلاف ذَلكَ يكون مُكذِّبًا للرَّسول ﷺ، وللقرآن، مُبغضًا للرَّسول ﷺ ولِمَا جاء به،

ومبغضًا لدينِهِ، والمُنَافقون لفَسَاد اعتقادهم يَتَمالؤون مَعَ الكُفَّار الصُّرحاء من يهود، ونَصَارىٰ، ومشركين.

وهَكَذا فالمنافقُ يُسَرُّ ويُحِبُّ أن يَنْخفضَ دينُ الرَّسول ﷺ، ويَظْهَر دينُ الكُفْر علىٰ دين الإِسْلَام، ويَكْره انتصارَ دين الرَّسول ﷺ، هَذَا هو النِّفاقُ الاعتقاديُّ الَّذي يَكُونُ في قُلُوبهِمْ، نَعُوذُ بالله من النِّفاق وفَسَاد الاعتقاد.

أمَّا النِّفاق العمليُّ: وهو عَمَلُ شيءٍ من أَعْمَال المُنَافقين مع بَقَاء الإيمان في القَلْب، وهذا لا يُخْرج من المِلَّة، لكنَّه وسيلةٌ إلىٰ ذَلكَ، وصاحبُهُ يكون فيه إيمانٌ ونفاقٌ، وإذا كَثُرَ صار بسببِهِ منافقًا خالصًا.

والدَّليلُ عليه قولُهُ ﷺ: «**أربعٌ مَنْ كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومَنْ كَانَتْ فيه خصلةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خصلةٌ من النِّفاق حتَّىٰ يَدَعها: إذا اؤتُمِنَ خَانَ، وإذا حدَّث كَذَب، وإذا عَاهَد غَدَر، وإذا خَاصَمَ فَجَر**»(١).

وقَدْ ذكر في الحديث أيضًا عن أبي هُرَيرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**آيةُ المُنَافق ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَد أَخْلفَ، وإذا اؤتُمِنَ خَانَ**»(٢).

وفي روايةٍ: «**وإذا خَاصَمَ فَجَرَ، وإذا عَاهَد غَدَرَ**»(٣).

فالنِّفاقُ العمليُّ لا يُخْرج من الإسلام، بل صاحبُهُ مسلمٌ فاسقٌ.

والنِّفاقُ مأخوذٌ من النَّفق الَّذي هو الجُحْر باعتبار أنَّ صاحبَهُ أَظْهَر شيئًا

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٢)، وصَحَّحَه الألبانيُّ رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

وأَخْفَىٰ خلافَه، ويُسمَّىٰ النِّفاقُ العمليُّ نفاقًا؛ لأنَّ الَّذي يكذبُ في حديثِهِ يَزْعم أنَّ حديثَهُ صدقٌ، وهو كذبٌ، وأنَّه يَعِد ويخلفُ قاصدًا للخُلْف حين وَعَد؛ لأنَّه أَظْهَرَ الوفاءَ، وأَبْطنَ الخُلْفَ، أمَّا الَّذي يَعِدُ صادقًا وتَحْصُل له ظروفٌ تمنعُهُ من الوفاء، فَهَذا لا يكون منافقًا، كَذَلك أيضًا مَنِ اؤتُمِنَ فخَانَ الأمانةَ، وكَذَلك إذا خاصم فَجَر، فهو يَحْلف كاذبًا ويأتي بشهادةٍ مُزَوَّرَةٍ، ويَدَّعي شيئًا ليس له، وينكر الشَّيءَ الَّذي عليه.

وكَذَلك قولُهُ: «**إذا عَاهَد غَدَر**»، مَنْ عَاهَد وهو يريد الوفاءَ بالعَهْد، وحَصَل له ما يمنعُهُ من الوفاء، فهَذَا لا يدخلُ في النِّفاق.

فمَنِ اجْتَمعت فيه هذِهِ الخصالُ الأربعُ، فقَدِ اجتمعَ فيه الشَّرُّ، وخلصت فيه نُعُوت المُنَافقين، ومَنْ كَانَتْ فيه واحدةٌ منها، صَارَ فيه خصلةٌ من النِّفاق، فإنَّه قَدْ يجتمع في العبد خصالُ خيرٍ، وخصالُ شرٍّ، وخصالُ إيمانٍ، وخصالُ كفرٍ ونفاقٍ، ويستحقُّ من الثَّواب والعقاب بحَسَب ما قَامَ به من مُوجِبَاتِ ذَلكَ.

ومنه التَّكاسُلُ عن الصَّلاة مع الجَمَاعة في المسجد؛ فإنَّه من صِفَاتِ المُنَافقين، فالنِّفاقُ شرٌّ، وخطيرٌ جدًّا، ولقَدْ كان الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَتخوَّفون من الوُقُوع فيه.

قال ابْن أبي مُلَيكَة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَدْرَكتُ ثلاثين من أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ

كلُّهم يَخَاف النِّفاقَ علىٰ نفسِهِ»[١]، رَضِيَ الله عَنْهم أجمعين[٢].

(١) ذكره البخاري مُعلَّقًا (١/ ١٨).

(٢) من كتاب «التوحيد» للفوزان (ص٢٠).

معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ تَعَالىٰ- أنَّ أوَّل ما فَرَض اللهُ علىٰ ابْنِ آدم: الكُفْرُ بالطَّاغوت، والإيمانُ باللهِ، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

❐ **فأمَّا صفة الكُفْر بالطَّاغوتِ:** أنَّ تَعْتقدَ بُطْلانَ عبادة غير الله، وتَتْركها وتبغضها، وتُكفِّر أَهْلَها وتُعَاديهم.

❐ **وأمَّا معنى الإيمان بالله:** أَنْ تعتقدَ أنَّ اللهَ هو الإله المعبودُ وَحْده دون سواه. وتُخْلص جميعَ أنواعِ العبادةِ كلِّها لله، وتَنْفيها عن كلِّ معبودٍ سواه، وتحبَّ أَهْلَ الإخلاص وتُوَالِيهم، وتبغضَ أهلَ الشِّرْك وتُعَادِيهم، وهذِهِ ملَّة إبراهيم الَّتي سَفَّه نَفْسَه مَنْ رَغِبَ عنها، وَهَذِهِ هي الأُسْوَة الَّتي أَخْبَر اللهُ بها في قولِهِ تَعالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة:٤].

والطَّاغوتُ عامٌّ في كلِّ ما عُبِدَ من دون الله، ورَضِيَ بالعبادة من مَعْبودٍ، أو مَتْبوعٍ، أو مُطَاعٍ في غَيْر طاعةِ اللهِ ورَسُولِهِ.

❐ **والطَّواغيتُ كثيرةٌ، ورؤوسهم خمسةٌ:**

❐ **الأوَّل:** الشَّيْطانُ الدَّاعي إلىٰ عِبَادَة غير الله، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس:٦٠].

❐ **الثَّاني:** الحاكمُ الجائرُ المُغيِّر لأحكام الله، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء:٦٠].

❐ **الثَّالث:** الَّذي يَحْكم بغَيْر ما أنزلَ اللهُ، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤].

❐ **الرَّابع:** الَّذي يدَّعي عِلْم الغيب من دون الله، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن:٢٦، ٢٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩].

❐ **الخامس:** الَّذي يُعْبَد من دون الله وهُوَ راضٍ بالعبادةِ، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء:٢٩].

وَاعْلَمْ أنَّ الإنسانَ ما يَصِير مُؤْمنًا بالله إلَّا بالكُفْر بالطَّاغوت، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة:٢٥٦].

الرُّشد: دِينُ مُحمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم. والغيُّ: دينُ أَبِي جهلٍ. والعُرْوةُ الوُثْقىٰ: شهادة أَنْ لا إله إلَّا الله، وهي مُتضمِّنةٌ للنَّفْي والإثبات، تنفي جميعَ أنواعِ العبادة عَنْ غَيْر الله، وتُثْبِتُ جميعَ أنواعِ العبادةِ كلِّها لله وَحْده لا شريكَ له.

والحمدُ للهِ الَّذي بنعمتِهِ تَتمُّ الصَّالحات.

الشرح

❐ **قال الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب** رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَمْ -رحمك اللهُ تَعَالىٰ- أنَّ أوَّل ما فرضَ اللهُ علىٰ ابْن آدمَ الكُفْرُ بالطَّاغوت، والإيمانُ بالله، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل:٣٦]»[1].

أقول: في هذه الآية (رقم ٣٦ من سورة النَّحْل) ثلاث فوائد:

---

(١) ومن الأدلة أيضًا قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وسوف يأتي الكلام عن هذه الآية في آخر هذا الشرح الميسر، بإذن الله.

وهي كما يلي:

❐ **الفائدة الأولى:** أنَّ اللهَ أَخْبَرنا أنَّه بعث في كلِّ أُمَّةٍ رسولًا؛ أي: ما خَلَت أُمَّةٌ إلَّا وبُعِثَ منها رسولٌ، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّكم تُوفون سَبْعينَ أُمَّةً، أنتم خَيْرها وأَكْرَمها علىٰ الله**»(١).

وعلىٰ هَذَا، فإنَّ الله قَدْ بعث في كلِّ أُمَّةٍ رسولًا يَدْعوهم إلىٰ عبادتِهِ وَحْده، ويقيم عَلَيهم الحُجَّةَ.

❐ **الفائدة الثَّانية:** قولُهُ: «أن اعبدوا الله»؛ أي: أرسل في كلِّ أُمَّةٍ رسولًا يَقُول: اعبدوا الله؛ أي: وَحِّدوه بعبادتكم، ولا تَعْبدوا معه أحدًا سواه.

الفائدة الثَّالثة: قولُهُ: «وَاجْتَنبوا الطَّاغوتَ»؛ أي أنَّه ما من رسولٍ أُرْسِل إلَّا وهو يأمر أُمَّته بعبادة الله وَحْدَه، واجتناب الطَّاغوت؛ أي: تَرْكُهُ واعتقادُ بطلانِهِ.

قوله: «وأمَّا صفة الكفر بالطَّاغوت»: فأن تَعْتقدَ بُطْلانَ عبادة غَيْر الله، وتتركها وتبغضها، وتُكفِّر أهلها، وتُعَاديهم.

وقوله: «وأمَّا معنىٰ الإيمان بالله»: فأَنْ تعتقدَ أنَّ الله هو الإله المعبود بحقٍّ وَحْده دون مَنْ سواه، وتُخْلِص جميعَ أنواع العبادة كلِّها لله وَحْدَه لا شريكَ له، وتنفيها عن كلِّ معبودٍ سواه غيره، وتحبُّ أَهْلَ الإخلاص وَتُوَاليهم، وتبغض أهلَ الشِّرك، وتُعَاديهم.

❐ **ولربَّما قال قائلٌ:** إذا عَبَدْتُ اللهَ، وكَفَرتُ بالطَّاغوت، فكيف يُكلِّفني

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٧) (٢٠٠٢٩)، والترمذي (٣٠٠١) من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه، وحَسَّنه الألبانيُّ رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

ربِّي أن أبغضَ أَهْلَ الشِّرك وأُعَاديهم؟

❐ **الجواب:** هو أنَّ بُغْض أَهْل الشِّرك ومُعَاداتهم فرضٌ علىٰ المسلم، وموادَّة أهل التَّوحيد ومَحبَّتهم ومُوَالاتهم أيضًا فرضٌ؛ لقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة:٢٢].

فهذِهِ الآيةُ صارفةٌ وصريحةٌ في أنَّه لا يحبُّ المشركين ويُوَاليهم إلَّا مَنْ ضعف إيمانُهُ، وقلَّ نصيبُهُ منه، أمَّا أَهْل الإيمان الحقيقيِّ فإنَّهم يُبْغضونَ أَهْل الشِّرك، ويُعَادونهم، وهذه مِلَّةُ إبراهيم عليه السلام الَّتي لا يَرْغب عنها إلَّا مَنْ سَفِهَ نفسه.

قَالَ اللهُ عزوجل: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة:١٣٠].

(اللَّهمَّ اجعلنا مِمَّن تَصْطفيهم يا ربِّ، تصطفيهم بالإيمان بك ومَحبَّتك، وبُغْض كلِّ مألوهٍ سواك، وبُغْض كُلِّ مَنْ يَعْبُدُ غيرك).

وقَوْل المُصنِّف يرحمُهُ الله: (وهذه مِلَّة إبراهيم الَّتي سَفِهَ نفسه مَنْ رَغِبَ عنها، وهذِهِ هي الأسوة الَّتي أخبر بها في قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة:٤]).

وهذِهِ الآيةُ دليلٌ علىٰ مُعَاداة ومُصَارمة المشركين والكافرين؛ ذلكَ لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ هو الَّذي خَلَقنا وخَلَق الكونَ كلَّه بما فيه من عَوالِمَ عُلويَّةٍ وسُفليَّةٍ، فهو الَّذي خَلَق الخَلْقَ ورَزَقهمْ، وهو الَّذي أَحْيَاهم، ويَسَّر لهم الرِّزْقَ، وأَمَرهم بعبادتِهِ وَحْده، فمَنْ عَبدَ سواه وآمَنَ بغَيْره، فإنَّه قَدْ سَفِهَ نَفْسَهُ.

أيحقُّ عند العُقَلَاء أنَّ اللهَ هو يَخْلق ويرزقُ، وهو يُحْيي ويُمِيتُ، وهو الَّذي كلَّف العبادَ بعبادتِهِ وَحْده دون سواه؟!

أيصحُّ عند العُقَلاء أَنْ يكونَ هو الَّذي يَخْلقُ ويرزقُ ويُعْبد غيرُهُ مَنْ لم يَخْلق فيك ولا في غَيْرك مثقالَ ذَرَّةٍ، ولا يَمْلك شيئًا!

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢].

وَقَالَ سُبْحَانه في سورة «فاطر» بعدما ذَكَر شيئًا من ملكِهِ في الكون: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣، ١٤].

ثمَّ قَالَ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر:١٥-١٧].

فقَدْ أَخْبَر -جلَّ من قائلٍ سبحانَهُ- بأنَّ المَدْعوِّين من دونِهِ لا يَمْلكونَ مثقالَ ذَرَّةٍ في السَّماوات ولا في الأرض، ونفىٰ الشَّراكةَ المُتوهَّمة ﴿وَمَا لَهُمْ

فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾، ونَفَىٰ المُعَاونةَ والمُظَاهرةَ ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾، وأَخْبَر في سورة «فاطر» أنَّ المَدْعوِّين من دونه ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾، والقِطْميرُ هو الغشاءُ أو القشرةُ البيضاءُ تَكُونُ علىٰ النَّواة.

وأنَّ المُلْكَ كلَّه لله، وأنَّ مُلُوكَ الدُّنيا والمُلَّاك وما مَلَكوا كلُّهُمْ عبيدٌ مملوكون لله، ونَفَىٰ كون المَدْعوِّين يَسْمعونَ، ونفىٰ اسْتجَابَتَهمْ ولَوْ سمعوا؛ يعني: لَوْ كان المدعوُّ حيًّا، فدعوتَهُ ليفرجَ عنك كربًا من الكُرُوب الَّتي لا يَقْدر عليها إلَّا الله؛ فإنَّه لا يَسْتطيع الاستجابةَ لَكَ، وأنَّ هؤلاء المَدْعوِّين من دون الله سَوْف يَكْفُرونَ؛ أي: سيُنْكرونَ ويَجْحَدون مَنْ أَشْرَكهُمْ مع الله ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾.

هذِهِ كلُّها توطئةٌ وبيانٌ أنَّ اللهَ هو المستحقُّ للعبادة وَحْده، دون مَنْ سِوَاه، ولهَذَا جاء في الحديث: «**أنَّ الله أَمَرَ يحيىٰ بن زكريا عليه السلام بخمسٍ أن يُبلِّغها بني إسرائيل، وأنَّه أَبْطَأ، فَقَال له عيسىٰ ابن مريم عليه السلام: إمَّا أن تُبلِّغهمْ، وإمَّا أن أُبلِّغهمْ.**

فقَالَ يَحْيىٰ عليه السلام: إنِّي أَخْشَىٰ إنْ بَلَّغتَهم أن يُعذِّبني الله.

فجَمَع بني إسرائيلَ وَبَلَّغهم الخمسَ، وأوَّلها: أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَحْده، وأنَّ مَثَل ذلكم كمَثَل رجلٍ اشْتَرَىٰ عبدًا من خالصِ مالِهِ، ثمَّ قال: اعْمَلْ وأدِّ إليَّ، فجَعَل عبدُهُ يَعْمل ويؤدِّي إلىٰ غَيْره، فأيُّكم يَرْضىٰ أَنْ يكونَ عبدُهُ كَذَلك»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣) من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

❐ معنى الطَّاغوت:

الطَّاغوتُ في اللُّغة مشتقٌّ من الطُّغْيان: وهو مُجَاوزة الحدِّ، ومُجَاوزة الحقِّ إلىٰ الباطل، ومُجَاوزة الإيمان إلىٰ الكُفْر، وما أشبه ذَلكَ، وكلُّ طاغوتٍ فهو كافرٌ بلا شكٍّ(١).

والطَّاغوتُ لفظٌ أو اسمٌ عامٌّ، فكلُّ ما عُبِدَ من دون الله ورَضِيَ بالعبادة من مَعْبودٍ، أو مَتْبوعٍ، أو مُطَاعٍ في غَيْر طاعة الله ورَسُولِهِ، فمَنْ فَعَلَ ذَلكَ، فهُوَ طاغوتٌ، والطَّواغيتُ كثيرةٌ، ورُؤوسُهُمْ خمسةٌ:

الأوَّل: الشَّيطان الدَّاعي إلى عبادة غير الله:

والدَّليل: قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس:٦٠، ٦١].

❐ الثَّاني: الحاكم الجائر المُغيِّر لأحكام الله: والدَّليل قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

فسمَّىٰ اللهُ -جلَّ شأنُهُ- مَنْ يَحْكم بغَيْر ما أنزل الله عَلَىٰ نَبيِّه ﷺ طاغوتًا،

(١) انظر «المنتقىٰ» للفوزان (٢/ ٢٧٨).

وهَذَا إذا كَانَ مَنْ يَحْكم بغير ما أَنْزلَ الله كافرًا[١] جائرًا، كأَنْ يكون واقعًا في النَّاقض الرَّابع من نَوَاقض الإسلام[٢]، أو غَيْره من النَّواقض والمُكفِّرات المُخْرِجة من المِلَّةِ، فهَذَا يُسمَّىٰ طاغوتًا، بَلْ رأسًا من رُؤوسِهِمْ.

أمَّا التَّابعُ والطَّائعُ لمَنْ حَكَم بغَيْر ما أنزلَ اللهُ الَّذي يحلُّ ما حرَّم اللهُ، ويُحرِّم ما أحلَّ الله، لَا يَخْلو من حَالَين:

الحالة الأولى: أَنْ يُطِيعُوهُمْ في ذَلكَ مَعَ عِلْمِهِمْ بتَبْديلهم لحُكْم الله ومُخَالفتهم للرُّسُل عليهم السلام، فيَعْتقدونَ مَعَ ذَلكَ تَحْريمَ ما أحلَّ اللهُ، وتحليلَ ما حرَّم اللهُ اتِّباعًا لرُؤُوسِهِمْ، فهذِهِ الحالةُ كفرٌ مُخْرجٌ من المِلَّة.

الحالة الثَّانية: أَنْ يُطِيعُوهُمْ في ذَلكَ مَعَ اعتقادهم تَحْريمَ ما حرَّمَ الله، وتَحْليلَ ما أحلَّ اللهُ، ولكن طَاعَتهم كانت عَنْ هوىٰ وعِصْيانٍ، كما يصنعُهُ كثيرٌ من أَهْل الفسق حينما يُؤذَن لهم بشُرْب الخمر، فلا يُعاقَبون عَلَيه،

---

(١) أما إن كان مَنْ يحكم بغير ما أنزل الله ظالمًا أو فاسقًا؛ فهذا لا يكون رأسًا من رؤوس الطواغيت، ولا طاغوتًا؛ لأن كل طاغوتٍ فهو كافرٌ، وتكفير مَنْ حكم بغير ما أنزل الله لا بد فيه من استيفاء الشروط، وانتفاء الموانع التي جاء بها الشرع المطهر؛ فإن الحاكم بغير ما أنزل الله قد يكون كافرًا أو عاصيًا؛ ظالمًا أو فاسقًا، والظلم والفسق مراتب ودركات بحسب مفسدته العامة أو الخاصة، أو كلا المفسدتين وأثرهما.
وإما أن يكون الحاكم مخطئًا مأجورًا، فلينتبه لذلك.
راجع «تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية» للشيخ خالد فوزي عبد الحميد حمزة، المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة حرسها الله.

(٢) وهو من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه؛ كالذين يفضلون حكم الطواغيت علىٰ حكمه ﷺ، فمَنْ فعل ذلك أو اعتقده، كَفَر.

وحينما يُؤذَن لهم بأَكْل الرِّبا أضعافًا مُضَاعفةً كذلك، فيَشْربون الخمرَ رغبةً في المُتْعَة، ويأكُلُون الرِّبا طمعًا في المال مَعَ اعترافهم بذُنُوبهم كما هو حالُ كثيرٍ من المسلمين في هَذَا الوقت، فهَؤُلَاء حُكْمهم حُكْمُ أَمْثَالهم من أَهْل الذُّنوب والمَعَاصي.

وهَذَا القسمُ من الشِّرك (شِرْكُ الطَّاعة الَّذي تَقدَّم مَعَنا) رُبَّما يَقَع من العالِمِ الَّذي لم يَنْفعه علمُهُ، فيتَّبع هَوَاه، فيطيع غَيْره من حاكمٍ أو وَالٍ في تَحْليل ما حرَّم الله، أو تَحْريم ما أحلَّ الله طمعًا في جاهٍ، أو متاعٍ، أو سلطانٍ ورئاسةٍ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومتىٰ تَركَ العَالِمُ ما عَلِمَهُ من كتاب الله، وسُنَّة رسولِهِ ﷺ، واتَّبع حكمَ الحاكم المُخَالف لحُكْم الله ورسولِهِ، كان مرتدًّا كافرًا يستحقُّ العُقُوبةَ في الدُّنيا والآخرة.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١-٣].

ولو ضُرِبَ وحُبِسَ وأُوذِيَ بأنواع الأذىٰ ليدع ما عَلِمَه من شَرْع الله ورسولِهِ الَّذي يجب اتِّباعُهُ، واتَّبع حكمَ غيره، كان مستحقًّا لعَذَاب الله، بَلْ عَلَيه أن يَصْبرَ وإِنْ أُوذِيَ في الله، فهذِهِ سُنَّةُ الله في الأنبياء وأَتْبَاعهم، قَالَ اللَّهُ تَعَالىٰ: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ

﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣]...»». إلخ. انتهىٰ من «مجموع الفتاوىٰ» المجلد (٣٥)، (ص٣٧٢، ٣٧٣).

❐ **الثَّالث:** الَّذي يَحْكم بغَيْر ما أنزلَ الله، والدَّليلُ قولُهُ ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، وهُوَ الَّذي يَحْكم بغَيْر ما أنزلَ الله معتقدًا عَدَم صلاحية حُكْم الإسلام، أو أنَّه يجيز الحُكْمَ بغَيْره.

❐ **الرَّابع:** الَّذي يَدَّعي عِلْمَ الغيب من دون الله، واللهُ تَعَالىٰ قَدْ نَفَىٰ علمَ الغَيْب عن غَيْره، فقال جلَّ من قائلٍ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩].

❐ **الخامس:** الَّذي يُعبَد من دون الله وهُوَ راضٍ بالعِبَادَة، والدَّليل قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٩].

ولقَدْ عَدَّدَ هذه الطَّواغيت غيرُ واحدٍ من السَّلف؛ كابْنِ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ وغَيْره من أَهْل العلم رَحِمَهُمُ اللهُ، فَقَال رَحِمَهُ اللهُ: «الطَّواغيتُ كثيرونَ، ولكن رؤوسهم خَمْسةٌ[1]، وهي:

---

(١) وقد ذكرتها لزيادة الفائدة بالنظر في الفروق بين ما ذكره المصنف الجامع للرسالة، وبين ما =

١- إبليس لَعَنَه الله؛ فإنَّه رأسُ الطَّواغيت.

٢- مَنْ عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ بذلك.

٣- مَنِ ادَّعَىٰ شيئًا من عِلْمِ الغَيْب.

٤- مَنْ دَعَا النَّاسَ إلىٰ عبادة نفسِهِ.

وهذا كَمَا يَفْعل بعضُ أَصْحَاب الأهواء من الرَّافضة وأَصحَاب الطُّرُق الصُّوفيَّة وغَيْرهم الَّذين يُسَيْطرون علىٰ كثيرٍ من المغفَّلين من النَّاس، وما أَكْثَرهم! هَدَاهم اللهُ إلىٰ التَّوحيد والسُّنَّة، فَهُم (أَيْ: أَصْحَاب الأهواء

=

ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره، وذلك لأن (الحاكم الجائر المغيِّر لأحكام الله) يدخل فيمن حكم بغير ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ، ويأتي مكانه من رؤوس الطواغيت الخمس التي ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (مَنْ دعا الناس إلىٰ عبادة نفسه) سواء كان حاكمًا أو غيره.

وكذلك لو تأملت، فإنَّ مَنْ دعا الناس إلىٰ عبادة نفسه لو استجيب له، يدخل في الذي يُعبَد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، من جهة أنه صار -بعدما استجيب له- طاغوتًا يعبدُهُ الناس من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، بل إنه يدعو لذلك لطغيانِهِ وفساد باطنِهِ، والعياذ بالله.

علمًا أن الحاكم الجائر المغيِّر لأحكام الله (فيه تفصيلٌ بحسب معتقده كما مرَّ بنا في شرك الطاعة وغيره).

فإذا كان عالمًا أو عابدًا، وَدَعَا الناس لطاعته فأجابوه، فأحلوا الحرام، وحرموا الحلال، فيكونون بذلك قد عبدوه واتخذوه ربًّا من دون الله، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

ويكون بذلك أشد طغيانًا وإفسادًا في الأرض؛ لأنه اجتمع فيه أنه ممن دعا الناس إلىٰ عبادته، وممَّن حكم بغير ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ، فيكون من رؤوس الطواغيت من جهتين، كما كان حال النمرود وفرعون مع أقوامهم.

والطُّرُق) يَجْعَلون لأنفسهم شيئًا من خَصَائص الرُّبوبيَّة ومَقَام الأُلُوهيَّة في أنَّهم يَزْعمون لأنفسهم أنَّهم يَنْفَعون ويَضرُّون، وأنَّ لديهم طاقةً تأثيريَّةً في الآخرين، وفي الكَوْن، وفي تَصْريف الأُمُور، وأنَّهم ... وأنَّهم...، ويَسْتغلُّون العبادَ، ويَترَّأسون عَلَيهم بالباطل، ويَزْعُمُون أنَّ من مَحبَّتهم وتَعْظيمهم: دُعَاؤهم، والاستغاثةُ بِهِمْ، والاستنجادُ بِهِمْ؛ أحياءً كانوا أو بَعْد مَوْتهم، وهذه دعوةٌ إلىٰ الشِّرك صريحةٌ.

فالدُّعاء كَمَا في الحديث الصَّحيح هو العبادة(١)، والاستغاثةُ عبادةٌ كَذَلك، ولا يَجُوز ولا يَنْبغي صرفُ أيِّ عبادةٍ من العِبَادَات الظَّاهرة والباطنة إلَّا لله، ولكنَّهم يُسمُّونها -كذبًا وزورًا- تعظيمًا للصَّالحين، ومن الاعتراف بفَضْل الأولياء ومن مُوَالاتهم ومَحبَّتهم، وهي في الحقيقة والواقع من أَنْوَاع الشِّرك الأَكْبَر وذَرَائعِهِ.

بَلْ إنَّهم زَعَموا أنَّ تَرْكَ ذَلكَ الشِّرك من الجَفَاء والبُغْض لهم، وهَذَا من تَلْبيس إبليس عَلَيهم وعلىٰ أَتْباعِهِمْ، وهُوَ موجودٌ في كُتُبهمْ، نَعُوذُ بالله من الشِّرك ومِنَ الغُلوِّ في الصَّالحين(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٤٧) من حديث النعمان بن بشير، قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ يَقُول: «**الدُّعاءُ هو العبادةُ**»، ثمَّ قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠]، وصَحَّحَه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٢) ينظر لمزيد من الفائدة: «شرح الأصول السِّتَّة»، لفضيلة الشَّيخ صالح الفوزان، وفَّقه الله، ورفع من شأنه في الأُمَّة.

٥- مَنْ حَكَمَ بغَيْر ما أنزل الله ﷻ.

وَاعْلَمْ أنَّ الإنسانَ لَا يصيرُ مؤمنًا بالله إلَّا إذا كَفَر بالطَّاغوت، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

- **الرُّشدُ:** الإيمانُ بالله وهو دينُ مُحمَّدٍ ﷺ ومَنْ تَبِعَهُ.
- **والغيُّ:** الكُفْرُ بالله، وهو دينُ أبي جهلٍ ومَنْ نَحَا نَحْوَه.
- **والعُرْوة الوثقى:** شَهَادة أَنْ «لا إله إلَّا الله»، وهي مُتضمِّنةٌ للنَّفي والإثبات، تَنْفي جميعَ أَنْوَاع العبادة عَنْ غير الله تَعَالىٰ، وتثبتُ جميعَ أَنْوَاع العبادة كلِّها لله وَحْدَه لا شريكَ لَهُ.

والحَمْدُ لله الَّذي بنعمتِهِ تتمُّ الصَّالحاتُ، وبذِكْره تطيبُ الحَيَاةُ.

وهُنَا انْتَهَينا من شَرْح الواجبات المُتحتِّمات، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نَبيِّنا وحبيبنا مُحمَّدٍ خير البريَّات[1].

---

(١) كان الفراغ من مراجعته والتَّعليق عليه بما يسَّر الله، يوم الجمعة ٢/ ١٢/ ١٤٢٥هـ.
بعض طلبة العلم وفقهم الله

الفهرس

الفهرس

❐ **مقدمة الناشر ٥**

❐ **نبذة عن اللجنة العلمية لمؤلفات العلامة أحمد النجمي..... ١١**

❐ **ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ ١٣**

- اسمه ونسبه: ١٣
- مولده: ١٣
- نشأته: ١٣
- طلبه للعلم: ١٤
- رحلاته العلميَّة : ١٥
- علم الشيخ وصفاته: ١٦
- مُؤلَّفاته: ١٧
- شيوخه: ١٩
- تلاميذه: ٢٠
- وفاته: ٢٠

۞ مصادر ترجمته: ٢١

❐ **ترجمة فضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٣**

۞ اسمه ونسبه: ٢٣

۞ ولادته ونشأته: ٢٣

۞ نشأته العلمية: ٢٤

۞ أعماله: ٢٥

۞ شيوخه الذين تلقىٰ علىٰ أيديهم العلم، وهم بالترتيب الزمني: ٢٦

۞ تلاميذه: ٢٦

۞ مؤلفاته: ٢٧

۞ صفاته رَحِمَهُ اللَّهُ: ٢٨

۞ وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ: ٣٥

۞ الخاتمة: ٣٦

فتح الرب الغفور ذي الرحمة

۞ **الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمها** ٣٩

۞ **أصل الدين وقاعدته** ٤٣

۞ **شروط لا إله إلا الله** ٤٥

۞ **أدلة هذه الشروط من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله ﷺ** ٤٩

نواقض الإسلام ٦٤
التوحيد ثلاثة أنواع ٨٨
ضد التوحيد الشرك ٩٦
الكفر كفران ١٠٥
النفاق ١١٣
معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه ١١٩
الفهرس ١٣٥